المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

سيكولوجية الطفولة في شعر الشابي

Childhood Psychology in Chebbi's Poetry

بقلم الدكتور

عبد المحسن محمود أحمد منصور

أستاذ البلاغة والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بالمنوفية
جامعة الازهر - جمهورية مصر العربية

الجزء الأول (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٣/٦٩٤٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

سيكولوجية الطفولة في شعر الشابي

عبد المحسن محمود أحمد منصور

قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية ـ جامعة الازهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Lmohsenzx4@gmail.com

الملخص

تتعد مفردات الشابي في معجمه الشعري الوافر، والتي تعد تجارب واقعية من الحياة المليئة بزخم الأحداث المتناثرة هنا وهناك في عين وقلب وعقل ووجدان الشاعر، والتي تعد قريبة من نفس المتلقي ووجدانه وعاطفته.

ومن اللافت – وأنا أقرأ له ديوان (أغاني الحياة)– معانٍ عميقة هزتني من سحر ما عبّر به عن معاني الطفولة الواقعي التي تتسم في بعض صورها بالألغاز والأحاجي المتضافرة مع الحياة المليئة بالأحداث والوقائع التي تحيط بذهن الشاعر ورؤيته من قريب أو من بعيد ، فشدتني عبقرية الشاعر في التصوير كما شدتني الدقة في استخدام المعجم الشعري للطفولة بشتى مظاهرها وأحوالها من خلال رؤى منعكسة على سيكولوجية غامضة تحتاج إلى تفسير عميق حول إصرار الشاعر على تناول تلك المرحلة بعينها، وهذا العهد العمري الأول المليء بالأسرار والمعاني الضافية العميقة.

والناظر في ديوان الشابي يجد نفسه محاطا بالمتعة عندما يأتي أو يمر حديث عن الطفولة، كما أنها تعد استثارة موحية تستهدف الذكريات الماضية الجميلة. وباعثة على إثارة البهجة والأمل في النفوس.

ومما أثارني وحار فكري لسنوات ، قول الشابي في قصيدة : [صلوات في هيكل الحب]:

عذْبةٌ أنتِ كالطّفولةِ ، كالأحلامِ كاللّحنِ ، كالصباحِ الجديدِ
كالسَّماء الضَّحُوكِ كالليلةِ القمراءِ كالورد ، كابتسام الوليد

وقلت في نفسي : أي شيء جعل النفس تقرأ المرأة عذبة المذاق كالطفولة؟ واستقبلت التعبير بارتياح ، وكنت كلما فكرت في أن أتناول هذا العمل للوقوف على أسراره في نفس الشابي شغلني عنه موضوع آخر حتى تهيأت لي الفرصة في الخوض فيه ، من هنا عزمت على دراسة الطفولة في ديوانه ، وكنت كلما تصفحت ديوانه خالطني من المتعة والإحساس بالشعور الجميل تجاه استعمالاته لمعاني الطفولة الوليدة .

والدراسة تحاول الوقوف على جوانب نفسية الشاعر العبقرية العميقة ، متناولة هذه الرؤى والأفكار من خلال الدراسة الأسلوبية ، وبيان أسرار بلاغة التعبير والتصوير الفني الدقيق .

الكلمات المفتاحية : الشابي ، الطفولة ، الطفل، النفسي، سيكولوجية ، الرومانسية ، الصورة ، التصوير.

Childhood Psychology in Chebbi's Poetry

Abdul Mohsen Mahmoud Ahmed Mansour
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Menoufia, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Lmohsenzx4@gmail.com

Abstract

Al-Shabi's vocabulary is numerous in his abundant poetic dictionary, which are realistic experiences from life filled with the momentum of events scattered here and there in the eye, heart, mind and conscience of the poet, which are close to the recipient's soul, conscience and passion. It is remarkable - while I was reading his book (Songs of Life) - deep meanings that shook me from the magic of what he expressed about the meanings of realistic childhood, which in some of its forms are characterized by puzzles and riddles combined with a life full of events and facts that surround the poet's mind and his vision from near or far. The poet in photography, as well as the accuracy in using the poetic lexicon of childhood in its various manifestations and conditions, through insights reflected on a mysterious psychology that needs a deep explanation about the poet's insistence on dealing with that particular stage, and this first age era full of secrets and deep additional meanings. And the beholder in Al-Shabi's Diwan finds himself surrounded by pleasure when a talk about childhood comes or passes, and it is a suggestive evocation targeting beautiful past memories. And a source of excitement and hope in the souls. What moved me and stirred my thoughts for years was what al-Shabi said in a poem: [Prayers in the Temple of Love]: You are fresh Kalotfolh Kalahalam Kallhn new Kabbah Like the laughing sky, like the moonlit night, like roses, like the smile of a newborn And I said to myself: What made the soul read a woman's sweet taste like childhood? And I received the expression with satisfaction, and whenever I thought about dealing with this work to find

out its secrets in the soul of the young man, another topic occupied me about it until I had the opportunity to delve into it, from here I decided to study childhood in his collection, and whenever I browsed through his collection, I was mixed with pleasure and a sense of beautiful feeling towards Uses of the meanings of nascent childhood. The study attempts to identify aspects of the profound genius of the poet's psyche, dealing with these visions and ideas through stylistic study, and clarifying the secrets of eloquence of expression and accurate artistic depiction.

Keywords: Chebbi, Childhood, Child, psycho, Psychology, Romance , Image , Photography.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله مستحق الحمد ، خلق الأشياء في أطوار يسلم بعضها بعضا ، وخلق الإنسان في أطوار عمرية تبدأ بالطفولة وتنتهي بالكهولة ، وجعله في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على أفضل الخلق وإمام المرسلين ، هاديا وبشيرا ، بعثه الله رحمة للعالمين .

وبعد،

فإن النتاج الأدبي شعرًا أو نثرا بما يحويه من قيم أخلاقية واجتماعية وحضارية تعود على الأفراد والمجتمع بثمرات النفع عامّا كان أو خاصًا، والشعراء يمرون على مراحل الإنسان العمرية بالتأمل والإبداع ؛ لتسجيل كل ما يملى عليهم من واقع الحياة الملامس من أحداث ملحّة – هي في اعتقادهم – مهمة ، لا ينبغي طرحها أو التجوز عنها إلى غيرها ، ومن تلك المراحل الطفولة ، وهي أولى مراحل الإنسان في تلك الحياة التي يعانيها الإنسان من إلفٍ ووحشة ومعان أخرى يلتقطها الشاعر بتصويره ويطورها بخيالاته، ومن بين الشعراء المكثرين لتلك المرحلة وجدت أبي القاسم الشابي الشاعر التونسي في العصر الحديث، وكان إكثاره من الطفولة ومواضيعها الثرية في حياته أمرًا ملفتا دعاني إلى القيام بمعالجة تلك الدراسة معالجة تسبر أغوار الشاعر النفسية ؛ بهدف الوصول إلى الأشياء العميقة التي يلمسها الشابي من خلال تناوله لتلك المرحلة المهمة في حياة الإنسان.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الرد على تلك التساؤلات العميقة بهدف الوصول إلى نتائج مرضية:

- ما قيمة الطفولة في شعر الشابي؟
- أبعاد تصوير الطفولة في مخيلته وربطها بمراحل وأحداث أخرى ومدى تعلقها في نفسه؟
- التأثير النفسي نحو رصد الطفولة إلى نماذج الطبيعة وإلصاقها بالمعاني الحسية والمتخيلة على النفس الشاعرة.
- هل الشابي شاعر الطفولة يسيطر عليه التشاؤم في كل المراحل العمرية وخاصة تلك المرحلة؟

سبب اختيار الموضوع:

هناك رسالة بعنوان: (أثر النزعة التشاؤمية في المعجم الشعري لأبي القاسم الشابي) وبالنظر في ديوان الشابي وجدت أن الشاعر صاحب نزعات متعددة من واقعه المعاصر والمعايش، وأن هناك صورا أخرى مقابلة لتلك النزعة أكثر تفاؤلا ، وأحسن حالا، وأشد افتنانا وأعذب ميدانا والتي منها عهود الطفولة التي مر بها الشابي قضاءً ومشاهدة ، وكان من اللافت أيضا منذ أن طالعت ديوان الشابي تعبيراته الرقيقة ، وتصويراته النادره التي لم يسبق إليها، كتصوير المرأة العذبة الجميلة بالطفولة ، فشدني هذا التعبير الذي لم أجد مثله –فيما يبدو لي –ممن سبقه من الشعراء أو عاصروه ، من هنا وقع اختياري على هذه الفكرة التي ترددت في ذهني منذ ربع قرن تقريبا ،وأنا أطالع كتب التراث والدواوين العربية في مكتبة الثقافة العامة .

الدراسات السابقة:

ليست هذه الدراسة أول عمل في نتاج الشّابي الأدبي والشعري ، بل هناك العديد من الأعمال القيمة التي أنجزت في إبراز نتاجه وفنه ومذهبه، وأثرت المكتبة العربية الحديثة بآثاره الفذة، لكنها الأولى من نوعها فلم أعلم- فيما وصلني- أن دراسة اختصت في الكشف عن المعالم السيكولوجية للطفولة دراسة أسلوبية بلاغية في شعره، والوقوف على قيمته . ومن تلك الدراسات:

- أبو القاسم الشابي ، دراسة في حياته وأدبه، فخري أحمد حسن طملية،ماجستير ،١٩٧٣،جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة.

- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت سعد محمد الجبار، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للكتاب.

- الشابي وجبران، خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب.

- كيف نعتبر الشابي مجدداً، الطاهر الهمامي،الدار التونسية للنشر، النشرة الثانية، ١٩٨٣.

- أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة ، رجاء النقاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٦.

- أثر النزعة التشاؤمية في المعجم الشعري لأبي القاسم الشابي، د/ إياد توفيق مصطفى أبو الرب، أطروحة لاستكمال- ماجستير- في اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية بفلسطين٢٠٠٩م.

- التشكيل الموسيقي في شعر أبي القاسم الشابي ،د/ كوثر هاتف كريم، وآخرون، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد ١٣، السنة السابعة ٢٠١٣م.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة في مقدمة ومدخل، ومبحثين :

المبحث الأول: صور الطفولة في شعر الشابي.

المبحث الثاني: تصوير الأشياء بالطفولة، وخاتمة وفهرس للمراجع.

ولقد اعتمدت في الدراسة على المنهج الاستقرائي التام لحصر أحوال وصور الطفولة كما جاءت في شعر الشابي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يكشف عن تلك الظواهر ،والمنهج النفسي لكشف انفعالات الشابي وسبر عواطفه ووجدانه تجاه تلك الظواهر، وكذلك الدراسة الأسلوبية.

والحمد لله أولا وآخرًا.

مدخل

من هو أبو القاسم الشابي؟

لم يرد في ترجمة أبي القاسم الكثير ، فأبو القاسم هذا اسمه ، ولد سنة:(١٣٢٤هـ – ١٩٠٦م) ومات شابا، بمرض الصدر، ودفن في " روضة الشابي " بقريته سنة: (١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م) [١] ،حيث لم يعش طويلا ، وقضى حياته وهو ابن ثمان وعشرين سنة تقريبا.

واسم أبيه : محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم، وهو من قضاة تونس ، وقيل أنه كان شاعرا أيضا ،توفي سنة ١٩٢٩ م. [٢]

فأبو القاسم من أسرة علمية عريقة نشأ في بيتٍ من بيوتات العلم ، فأبوه القاضي محمد تلمذ على يد الشيخ محمد عبده ، وأجيز من الأزهر الشريف ، ولِيَ القضاء ببعض جهات البلاد التونسية ، وتنقل من مكان إلى مكان.

وكان ابنه أبو القاسم يصحبه وهو صغير في كل المناطق التي عمل بها، مما كان له الأثر الأكبر في تشكيله الفني [٣].

والشّابي : نسبة إلى قرية الشّابية من أعمال توزر من الجنوب التونسي، وهذه المنطقة تدعى بلاد الجريد ، ومعناها بلاد النخيل وتونس معروفة بالبلاد الخضراء ؛ لكثرة أشجارها ونخيلها ومساحة أراضيها الخضراء [٤]، قال عنها

---

(١) الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٥.

(٢) الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٥.

(٣) ينظر: أبو القاسم الشابي ، دراسة في حياته وأدبه، فخري أحمد حسن طملية،ص ٢٢ ، ماجستير ،١٩٧٣،جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٤) ينظر: الشابي شاعر الحب والحياة ،د/ عمرو فروخ، ص٥٧،ط/ دار العلم للملايين – بيروت،لبنان،ط٤، ١٩٨٧م .

ابن خلدون : (مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والأنهار)[١].

وقرأ الشابي العربية بالمعهد الزيتوني (بتونس) وتخرج بمدرسة الحقوق التونسية، وعلت شهرته. في شعره نفحات أندلسية[٢]، وله " ديوان شعر" وكتاب " الخيال الشعري عند العرب " و " جميل وبثينة ،" و "شعراء المغرب"، و"رسائل" و" مذكرات " ومقالات مختلفة ...الخ.

كان الشابي ضعيف البنية ، يعاني من الالتهاب في الرئتين مما كان يمنعه من اللعب والجري كباقي الصبية ، وقيل أنه تضخم في القلب ، مما سبب له ألما نفسيا كبيرا في تكوينه النفسي والوجداني [٣]، وهذا يفسر اهتمامه بالطفولة التي يكاد حرم منها بجميع ملهياتها ومرحها وأتراحها .

المراد بالسيكولوجية :

الإنسان يعيش في بيئة ومن حوله الأشخاص والأشياء ، وهو يسعى فيها ويكد لإشباع رغباته ، ولإرضاء حاجاته المادية والمعنوية المختلفة، ولبلوغ أهدافه يرسمها لنفسه ، ويراها جديرة بما يبذله في سبيلها من مشقة وعناء ، وهو في سعيه يجد موانع وعقبات وصعوبات مادية واجتماعية شتى، ويجد نفسه على الدوام مضطرا إلى التوفيق بين مطالبه وإمكانات البيئة المحيطة حوله ، وإلى تعديل سلوكه حتى يتلاءم مع ما يعرض له من ظروف وأحداث

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/ ١٠١.

(٢) الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٥.

(٣) ينظر: أبو القاسم الشابي ، دراسة في حياته وأدبه،ص٣٦ ، وللتحقيق : ذكر أحد الباحثين من واقع سجلات المستشفى التي كان يتلقى الشابي بها العلاج أنه الفحص الطبي له قد ذكر العلة مرضا في القلب منعه من ممارسة نشاطه مثل باقي الأطفال ، ينظر: الشابي شاعر الحب والحياة، ص ١٠٤، وما بعدها ، ١١٥.

ومواقف جديدة ، وذلك عن طريق التفكير والتقدير واستخدام ذكائه ، وابتكار طرق جديدة، أو تعلم واكتساب طرق جديدة متنوعة يستعين بها على حل مشكلاته ، كما يجد نفسه مضطرا إلى التقييد أو الامتثال لما تفرضه عليه البيئة – وخاصة البيئة الاجتماعية المحيطة – من قيود والتزامات.(١)

والشابي شاعر بطبعه يتفاعل مع البيئة المحيطة به مع ما يقوم به من تعديل للسلوك والأحداث والمتغيرات والأشخاص التي لها دور في حياته الأدبية من منظور نفسي، على ما سنرى في صور الطفولة الثابتة والمتغيرة.

وتعني كلمة السيكولوجية علم النفس، الذي يهتم بالدراسات العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، وله تعريفات كثيرة أهمها:(العلم الذي يبحث في سلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هي مظهر للظواهر النفسية) (٢).

ولعل أقربها وألصقها للأعمال الأدبية بمعناه العام ، المتصل بالتشريح النفسي داخل الإنسان (العلم الذي يدرس الحياة النفسية ، وما تتضمنه من أفكار ، ومشاعر وإحساسات ، وميول ورغبات وذكريات وانفعالات) (٣).

لذا ؛ ومن هذا المنطلق ستتوافر الدراسة على أهم ما يشكل البنية النفسية والتأثيرية لدى الشابي تجاه المواقف المنتخبة في رحاب الطفولة وصورها ومجالاتها المتنوعة في ديوانه، ومعالجتها من حيث الأثر النفسي المصاحب للسياقات والمقامات المتعددة.

---

(١) أصول علم النفس ،د/ أحمد عزت راجح،ص٤، ط/دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٧ ،١٩٦٨ م.

(٢) علم نفس الشخصية ،د/ كامل محمد محمد عويضة، ص٥، ومابعدها،دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان،ط١، ١٩٩٦م.

(٣) أصول علم النفس،ص٣.

المبحث الأول

صور الطفولة في شعر الشابي:

أولا: الطفولة في الحياة :

للشابي حس مرهف ، عرف من خلال وجدانه ، وعاطفته الصادقة النابعين من واقع الحياة الممزوج بالأحداث والصور المتنوعة التي عبّر عنها في ديوانه بـ (أغاني الحياة) ، من تلك الصور الحية: الطفولة، والطفولة صورة ملحة من صور المجتمع الذي لا يمكن تخطيه في أي عهد أو الاستغناء عنه في أي زمن ،(إن الروابط بين النص والصورة هي أيضاً حقل دراسة غني بصورة خاصة: يستند الاجتماعي والشعري إلى بعضهما بعضاً ويسمحان أيضاً بمعرفة أكثر تميزاً للحدث الأدبي) [1].

ولقد شغلت الطفولة مساحة لا بأس بها في ديوان الشابي مع معانٍ غاية في الرقة واللطافة والجمال ، مما يعد الشابي شاعر الطفولة والجمال بلا منازع – فيما أحسب– ولقد شكلت جزءا مهما في معجمه الشعري المتنوع بين التغني بهذا العهد الجميل في النفوس، وكذلك ما جرى عليه وعلى من حوله من المآسي والمعاناة والآلام الحزينة مثل صور الفقد والتشريد والضياع، ولا يخلو حياة الشاعر من هذا أو ذاك.

والشابي من شعراء المهجر الذين حلقوا (في أجواء الخيال والحلم، متخذة شعارا لها هو العودة إلى الطبيعة، حيث الطهر والنقاء وحيث الطفولة

(١) الأدب العام والمقارن، دانييل – هنري باجو ص ٢٨٥،ط/ من منشورات اتحاد الكتاب العرب١٩٩٧ ، ترجمة :د. غسان السيد.

والبراءة، أو العودة إلى الغاب) [١]، وهو كما قال عنه د/شوقي ضيف الشابي :(قمة القمم في الإحساس)[٢].

والشابي من الشعراء الذين ينتمون إلى الرومانطيقية فكرا ووجدانا وروحا ، ولقد تأثر بكبار الأدباء تأثرا ملحوظا ، ومن هؤلاء : بودلر ، لامارتين ، وهوجو [٣]، وينشدون (الحياة العنيفة والإقبال الحار المتوثب الحب وعبادة الجمال، والإحساس العميق بالفراغ والألم) [٤].

وتلك الحياة تمتد من أيام الصبا من عمر كل إنسان ، فهي التربة التي تنبت فيها الرومانطيقية، وتتغذى عليها وتمتد ؛ لذا فإن شعراء هذا المذهب يتعلقون أبد حياتهم ، بتهاويل الصبا وآفاقه ومعانيه وأحلامه ...ويرفضون أن يشيخوا ، وإن ألح بهم الشيب ، أو قعد بهم الضعف) [٥].

وفيما يلي طرح لهذه النماذج التي لامست واقع الشابي الوجداني ،وخامرت فكره وعواطفه ، وأثرت معجمه الشعري .

---

(١) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلّقي الجمالي للمكان،د/قادة عقاق، ١٤٦ ، كتاب الكتروني ،موقع: http://www.awu-dam.org .

(٢) ينظر:آثار الشابي وصداه في الغرب ، أبو القاسم محمد كرو، ص٥٥، نقلا من أثر النزعة التشاؤمية في المعجم الشعري لأبي القاسم الشابي، د/ إياد توفيق مصطفى أبو الرب ، ص٤٢٣.

(٣) أبو القاسم الشابي حياته وشعره ، ٤٩.

(٤) ديوان أبي القاسم الشابي(أغاني الحياة) د/عبد اللطيف شرارة ،المقدمة ص٦، ط/دار صادر– بيروت،ط/٢، ٢٠٠٨.

(٥) ديوان أبي القاسم الشابي ، المقدمة، ص٦.

١- **التغني بعهد الطفولة:**

في قصيدة كاملة بعنوان[الطفولة]يتغنى الشابي بالطفولة في فريدة من فرائد نظمه ، يقول [١]:

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة
عهد كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمة
وتسير في عدوات واديها بنفس حالمة

يستهل الشابي إعجابه وتحيره في الطفولة بالقسم: (لله ما أحلى الطفولة !)، ويعد انزياحا وعدولا [٢]من العجز إلى كنه الحقيقة التي تحيط بالطفولة ، وتأكيدا أيضا لما ينتابه من مشاعر جياشة حولها ذكريات حلوة رائعة لا تكاد توصف بل تتذوق وتُشتهى، فمجيء القسم في الجملة الخبرية لتأكيد مضمونها[٣].

ويستفهم في قوله : (لله ما أحلى الطفولة !) متعجبا من الشيء الذي تسبب في إحداث الحلاوة في تلك المرحلة الخصبة والعهد الرائع، وهو انزياح من الاستفهام، ووجود حلول وأسباب لما يستفهم عنه بسبب غموض مصادر الحلاوة فيها ، إلى التعجب منها ؛ لعظم حلاوتها ومكانتها في قلب الشاعر ،

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ١٠٧.

(٢) الانزياح والعدول من مصطلحات الأسلوبية ، والانزياح هو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو الخروج عن المعيار لغرض يقتضيه المتكلم . ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس،ص٧، ط/ دار المسيرة-الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، د/ عبد الرحمن الميداني،٢٢٧ ، ط/ دار القلم – دمشق ،ط/أولى،١٩٩٦م.

وتتمثل قيمة التعجب هنا في إثارة العجب في نفس السامع[١] ؛ ليحصل له المراد بإلباسه ثياب الجائز الممكن مقام الغامض المحيّر .

وإيثار اللفظ: (أحلى) عن غيرها من الألفاظ للتوافق النفسي عند الحديث عن عهد الطفولة، وتلك الكلمة انزياح وعدول عن مدى الاستساغة وإحكام القبول لدى النفس تجاه تلك المرحلة الصافية الوديعة البريئة الضافية بالجمال.

ويسهم الشابي في إيجاد سبب من تلك الأسباب المحيرة التي تدفع السائل أن يتعجب من حلاوة الطفولة ، ويصل إلى إجابة يقررها بقوله: (إنها حلم الحياة) ، وهذا التقرير تأكيد للحكم وإثبات للمعاني الرائعة التي تتخلل أحلام الحياة على كثرتها، وهذا من منظور واقعي لا من وجهة نظر الشابي الشخصية ، فكل نفس تصبو إلى الطفولة وتتمنى عودة تلك الأيام لبراءتها ، وعدم الاكتراث لما يقع في الحياة على عاتق الطفولة من مسئولية أو قيد .

والشابي يصل بهذه السيكولوجية إلى سمو الأمور المحسة بالذوق ، وعمق الأحداث الجميلة المعاشة في الحلم ويجمعهما لعالم الطفولة .

وأضاف إلى حلاوة الطفولة التشبيه الذي مكّن لتلك الحلاوة عمقًا آخر في قوله:(عهد كمعسول الرؤى) ، ولابد من الوقوف هنا عند أهم صورة في هذا البيت ، حيث يؤكد أن مرحلة الطفولة عهد وفترة زمنية رائعة ، مقدار روعتها مقدار روعة الرؤى الجميلة ، وهذه الصور انزياح لبيان الحال الذي عليه عهد الطفولة من الروعة والقبول والاستساغة، في تشبيه أفراد الحسي بأفراد العقلي ؛ لإثارة الرؤى النبيلة الرائعة ، ويتجلي قيمة التمثيل بمعسول الرؤى زيادة إثبات المعنى المصور بالأشياء الجميلة المتخيلة[٢]، قال عبد

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،٢٧٨.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني،ص٧١، ط/ مكتبة الخانجي، ،تح: محمود شاكر.

القاهر في أثر التمثيل : (واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوسَ وأعظم، وأهزَّ للعِطْف، وأسْرع للإلف، وأجلب للفَرح، وأغلب على المُمْتَدَح...الخ) [1]. والشابي نقل إحساسه الداخلي نقلا أمينًا مؤثرًا.

وقيّد التشبيه بقوله:(ما بين أجنحة السبات)في حال النوم لا اليقظة ،ففيها يتحقق لصاحب الرؤى من التوفيق ما يدخل عليه السعادة والسرور والحبور والاطمئنان ، وتلك المقامات و الأحوال التي يلاقيها المرء وتلمسها النفس من ذلك العهد الجميل.

ومما يعجبه فيها من عهد تلك الطفولة تلك النظرات الباسمة المحيرة البريئة، وتلك من الأمور الحسية الجامعة لمعاني الدلال والبراءة والوداعة والصفاء والطهر والنقاء ،تراه يقول :(ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمة)، وهذا إحساس نفسي عالٍ يبرز حركته النفسية في التصوير .

أما ما يتعلق بالأمور الوجدانية العميقة فإن لعهد الطفولة نفسا حالمة عظيمة الطهر والنقاء ، يقول الشابي في فريدة من فرائده :(وتسير في عدوات واديها بنفس حالمة). والإيقاع الموسيقي بين تجانس اللفظين: (باسمة وحالمة)

---

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١١٥، ط/ دار المدني بجدة،تح: محمود محمد شاكر.

يثري المعنى ويؤكده في ذهن السامع ، والشابي من شعراء العصر الحديث الذين اهتموا بجرس الألفاظ وإيقاعها الصوتي للدلالة على المعاني[١] .

للشعراء أسلوب قيّم في اكتشاف القيم الجوهرية لحقائق الأشياء عن طريق الانزياح والعدول الاستاطيقي من منظور جمالي آخر ، فيقومون بالبحث من خلال ميادين ومجالات مختلفة لا تتصل بالهدف اتصالا مباشرا ؛ لذا فإن الشابي يجنح إلى ما يلازم عهد الطفولة البشرية وهي تلك الطبيعة بأجوائها الرحبة ،تراه يقول في ذات القصيدة :

إن الطفولة تهتز في قلب الربيع
ريانة من ريق الأنداء في الفجر الوديع
غنّت لها الدنيا أغاني حبها وحبورها
فتأودت نشوى بأحلام الحياة ونورها

هذه التراكيب العجيبة التي تعد انزياحا دلاليا لحركة الطفولة الحالم وحياة الأزهار والورود والأشجار والنسائم المظللة للحياة المحيطة لأجواء الطبيعة.

وهذا يعد اهتماما عظيما من الشابي لاقتناص الفرص السانحة لتصوير أحوال الطفولة من حولها تأثرا وتأثيرا وتعلقاً ، كما تلعب تلك الحياة الزاهية المزهرة السعيدة في فصل الربيع.

وتشخيص الربيع لإنسان له قلب ، تهتز الطفولة داخله، يحوي من المعاني العميقة في نفس الشابي التي تؤكد نضوج هذا العهد المتجدد بالجمال اليانع المصاحب لقلب الربيع المزهر ؛ مبالغة في رقة هذا العهد الحالم البديع ؛ ولتوقع المعنى في نفس السامع ، يقول عبد القاهر في تأثير الصورة

(١) ينظر: فن الجناس ، د/ علي الجندي، ص٢٢٢ ، ط/ دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

الاستعارية: (فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً،... إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون...) [١].

والطفولة في تصوره النفسي اهتزاز يتجدد ويستمر في أحضان الربيع، وكأنها كائنات تتأثر أمزجتها بالعوامل الداخلية والتقلبات الخارجية، وتلك من التعبيرات الموحية بتقلبات الطفولة واختلاف أمزجتها كزهور الربيع.

وأهم ما يميّز أسلوب الشابي الرقة في التعبير ، تشف عن مجموعة من التجارب الحيّة في الحياة الطبيعية التي صاغها بأساليب خبرية ؛ لتفيد الثبوت والاستقرار، وأخرى بأساليب مصدرة بأحداث عميقة ؛ لتفيد انطلاقات متعددة من الأحداث من حيث التجدد والاستمرار في هذا العهد الزمني الصغير مقارنة بجميع العهود المختلفة، وهو تزامن عبقري عظيم لم يغفله شاعر عبقري مثل الشابي، فعهد الطفولة هو أول عهود الحياة الناشئ الذي يقابله عهد الربيع الذي هو أول عهود الطبيعة النابضة بالحيوية والنشاط، وبدايتها المتغيرة الرائعة .

ويكثر الشابي من الصور الإيقاعية البديعة فبين (الربيع ، الوديع) ، وبين (حبورها، ونورها) إيقاع بديع ، يتغنى بالجناس المناسب لنغم القافية الإيقاعي، يبرز المعاني ويوضحها، وهو كما ترى (وقع من غير تكلف ولا قصد، ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصودًا إليه ، مأخوذا منه ما سامحت به القريحة وأعان عليه الطبع)[٢].

---

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص٤٣.

(٢) فن الجناس،علي الجندي، ص٥٠ ، نقلا من كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني،٢٢٦/١.

ينتقل الشابي بعد ذلك إلى ما هو أقرب عمقا لما يتصل بوجدان الشاعر انتقالا من الطبيعة الساحرة إلى الطبيعة الوجدانية الشاعرة، فالشابي يرى الطفولة بما هو أقرب لمشاعره حيث يراها حقبة شعرية بما حملت من مشاعر، كيف يكون ذلك؟

لقد ترجمه الشابي في مجموعة من الشعور وما تحمل من أحوال متغيرة وصور متقلبة من الدموع والسرور والطموح والغرور ، غير مخالطة لما عليه البالغون من الشعور بالكآبة و الحقائق والأكاذيب والخداعات والتعاسة والمعاناة، وهذا ما يميّز الشابي، يقول:

إن الطفولة حقبة شعرية بشعورها
ودموعها وسرورها وطموحها وغرورها
لم تمش في دنيا الكآبة والتعاسة والعذاب
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب

لعل أهم ما يميز تلك المرحلة للطفولة الصادقة هو صدق المشاعر والتقاط الشابي لتلك المعاني المتنوعة مقاربة لحقبة من حقب الشعر الصادقة المشاعر التي لا يعرف الكذب والتزيين طريقها ، ويعد هذا التصوير الدقيق الغريب انزياحا وعدولا صادقا لبيان مقدار الصدق في تلك المرحلة الطفولية الحالمة الصادقة.

وفي تنكير (حقبة) دلالة على التفخيم ، وأي حقبة لم تُعمر بالباطل أو ترصع بالكذب، ولم يجر عليها ما جرى من باقي تلك الحقب المتتالية التي يملؤها الشقاء الكآبة والتعاسة والعذاب ، ويفهم من اللفظ بالمخالفة[١] أنها حقبة يملؤها السعادة والهناء والسرور.

---

(١) دلالة المفهوم تنقسم إلى قسمين: موافقة، ومخالفة ، والقسم الأخير:(ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق ، ويسمى دليل الخطاب أيضا) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ٣/ ٧٨، دار الكتاب العربي – بيروت،ط١ ، ١٤٠٤م،تح: د/سيد الجميلي .

والسر الجمالي في عطف دموعها على شعورها ، عطف الخاص على العام ، وطابق بين (ودموعها وسرورها) تارة ، وبين (طموحها وغرورها)، تارة أخرى وكذلك طابق بين (حقيقة وكذاب)؛ ليميّز المعاني ويوضحها.

فللطفولة عند الشابي معالجة خاصة ترصد ما كان منها من طبيعة ساحرة يحسها المحيطين بها من اهتزاز ونشوى وفرح ، وهي حقبة زمنية تضم كنزًا من المشاعر والأحداث العفوية.

٢- تصوير الطفولة مع الأمومة:

وفي تصوير بديع من مقطوعة صغيرة بعنوان (حرم الأمومة) يصور الشابي مشهدا رقيقا حانيا يلتقط فيه الأم تحضن طفلها وتلثمه وتضمه ، بما يحرك معاني الطهر والحنان ، يقول(١):

الأمُّ تلثُمُ طفلَها ، وتضمُّه ** حرَمٌ، سماويُّ الجمالِ، مقدَّسُ
تتأّله الأفكارُ، وهْي جوارَه ** وتعودُ طاهرةً هناكَ الأنفُسُ
حَرَمُ الحياةِ بِطُهْرِها وَحَنَانِها ** هل فوقَهُ حرَمٌ أجلُّ وأقدسُ
بوركتَ يا حرَمَ الأمومةِ والصِّبا ** كم فيك تكتمل الحياةُ وتقدُسُ

جاء التعبير بلفظ المضارع (تلثم ، تضمه) ؛ لتجديد الحدث، ولاستمراره على هذا التعهد الذي يشغل حيّزا من الأفكار الجميلة المتزاحمة التي يتعثر في بيانها اللسان ، فلم يذكر الشابي سوى فعلين من مجموع الأفعال التي تعتري الأم في اليوم والليلة ، وهما (اللثم والضم) ليعبر عن هذا المشهد الرائع .

وقوله : (تلثم طفلها) انزياح وعدول عن أي حركة من الحركات المعتادة الثابتة ،وفي إضافة الطفل إليها إضافة ملكية واختصاص ، وإضافة

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،٢٤٣ .

تشريف واحتباس للمسئولية الفطرية التي لا تقاوم، وجاء التعبير بلفظ المضارع لتكثيف الحال باستمرار الحدث وتجدده.

ومعنى : (تتأله[١] الأفكار) أي تحتار ، وهي هنا تكتسب معاني أخرى يحتملها النص ، منها :الرعاية و الحماية واللجوء الأمان بدلالة قوله : (وهي جواره) وهي جملة حالية مبينة عن عمق الملازمة الآمنة للطفل ، وإثبات ملازمتها له أيضا[٢] .

ومن ذلك نموذج آخر :

في قصيدة : (يا شعر) يحكى فيها مشاهد متعددة ومتنوعة من المعاناة في الحياة ، والتي من بينها يتحدث عن أم الطفل التي تبكي وحيدها الذي فارق الحياة من بين يديها[٣]:

أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد

لما تناوله – بعنف –ساعد الموت الشديد

وصاغ العبارة بأسلوب الاستفهام ؛ لإثارة السامع فيما يعتري الوجدان من شعور لافت حزين عند تصوير الأم حالة بكائها طفلها الوحيد ، مخاطبا الشعر ؛ للدلالة على ما يجري عليه الشعر من موضوعات تتوارد عليه والتي منها هذا الأمر الحزين .

---

(١) ينظر: لسان العرب ،١٣/ ٤٦٧، والمعجم الوسيط ،١/ ٢٥.

(٢) يقول عبد القاهر أن مجيء الحال هكذا: (لأنه بمنزلةِ قولك: "جاءني وهو متقلد سيفه" و"خرج وهو لابسٌ التاجَ"، في أنَّ المعنى على أنك استأنفْتَ كلاماً وابتدأْتَ إثباتاً وأنك لم تُرِدْ:"جاءني كذلكَ" ولكن "جاءني وهُوَ كذلكَ"، فاعرفه.) دلائل الإعجاز ، ص٢٢١.

(٣) ديوان الشابي، ٧٥ .

ومجيء التعبير هكذا: (أم الطفل) بإضافة الطفل إلى الأم، ولم يكتف بقوله الأم ؛ لبيان المفقود ؛ ولمزيد من التأثير وشحذ العاطفة نحو قلب الأم على وليدها صريع الموت.

وفي تكرار(الطفل) في البيت مرتين ؛ لبث الاستعطاف والحزن الشديد، وفيه انزياح لاستحقاق المواساة ،في هذا الأمر المستعظم في قلب الأم.

وكلمة (بعنف) في قوله : (لما تناوله –بعنف– ساعد الموت الشديد) اعتراض لبيان قوة الأخذ والانتزاع التي جرت على الطفل ، ولعل الصورة مأخوذة من قول طرفة [1]:

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى ** لَكالطِّوَلِ المُرخى وثِنياهُ باليَدِ

والموت هكذا حاله بين العباد فلا يفرق بين صغير أو كبير، حيث يقول في نفس القصيدة قبل هذين البيتين معتذرا [2]:

يا شعر ! هل خلق المنون بلا شعور كالجماد

لا رعشة تعرو يديه إذا تملقه الفؤاد

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص٢٦،ط/ دار الكتب العلمية،ط٣، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. تح: مهدي محمد ناصر الدين، والطّول : الحبل ، كتاب العين ،٧/ ٤٥١، وينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٤٣٤.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٧٤ ، و تعرو: تغشى، ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ،٤/ ٢٩٦ ، أو ألمم به وأصابه. جاء في، (والعَرْو: مصدر عَرَوْتَ الرجلَ أعروه عَرْواً، إذا ألممتَ به. وعراه أمر يَعروه عَرْواً، إذا حلّ به. والعُرْوَة: عُرْوَة المَزادة وغيرها). جمهرة اللغة ،لابن دريد ١/ ٤٢٨ ،مادة :(عرو).

٣- التعبير بضراعة الطفولة :

وله في قصيدة : [نشيد الجبار، أو هكذا غنّى بروميثوس]، التي مطلعها[١] :

سَأعيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْداءِ ** كالنِّسْر فوقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ

يخاطب فيها الشابي القَدرَ قائلا [٢]:

وأقول للقَدَرِ الذي لا يَنْثني ** عن حرب آمالي بكل بلاءِ

لا يطفىء اللهبَ المؤجَّجَ في دَمي ** موجُ الأسى ، وعواصفُ الأرْزاءِ

هذا كله صورة من صور انفعالاته الجياشة تمهيدًا لوصف فؤاده المشتعل – الذي اعتاد المصائب والأحداث الأليمة- بالقوة التي لا يظهر عليها الضعف والانحناء، حتى ولو بلغ الأمر استجداء من يرق عنده الفؤاد مثل ضراعة الأطفال، وكذلك الضعفاء الأذلاء ، يقول الشابي متحديا الأقدار مستخدما معنى من معاني الطفولة الضعيفة [٣]:

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٢ ، وبروميثوس: شعلة النور والمعرفة، تقول عنه الأساطير :أنه ضحى بحياته لأبناء أثينا، ورمى بنفسه في أتون النار ؛ ليجلب لهم شعلة النور والمعرفة ، ولقد شكلت هذه الحكاية رمزا في المجاميع الشعرية المعاصرة ،وصار في الآداب الحديثة رمزاً للفكر الرومانسي المتمرد. ينظر: مقال : شعلة النور والمعرفة موقع البيان ، وينظر: مبادئ في نظرية الشعر والجمال ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري،ص١٧١، ط/كتاب الكتروني .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٢، المؤجج:في الديوان : المشتعل ، وفي المخصص: (الذي يهيّج الحرْب بين الناس)المخصص ــ لابن سيده ،٣/ ٣٨٢،وفي الصحاح : (تلهب النار) الصحاح للجوهري ،٢/ ٣٢٠ (أجج)، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ٥/ ٣٩٧. والأرزاء: جمع رُزءٍ ، وهي المصيبة ، المحيط في اللغة ٩/ ٨٦ ، وينظر: الصحاح للجوهري،٢/ ٥٨ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٢ .

فاهدمْ فؤادي ما استطعتَ ، فإنَّهُ *** سيكون مثلَ الصَّخْرة الصَّمَّاءِ
لا يعرفُ الشكْوى الذَّليلةَ والبُكا *** وضَراعَةَ الأَطْفالِ والضُّعَفَاء

ينفي الشابي عن فؤاده الضعف والاستكانة والرجوع والتقهقر بأشكال عدة، فهو ذو قلب شجاع يحكم السيطرة على ما يضعفه أو يضعف أي فؤاد ، لا يعرف الشكوى الذليلة ولا يظهرها ولا ينطق بها ، كما لا يعرف قلبه البكاء الذي هو نقطة ضعف بعض البشر، وهذا يعد انزياحا وعدولا بالمعاني الكنائية التي توحي بقوة فؤاده وشجاعته وإقدامه وإصراره وعزيمته.

حتى إن فؤاده يتحاشي كل ما يضعفه ، فلا يعرف لضراعة الأطفال وإلحاحهم طريقا في قلبه ، وهذا ما يزيد من قوة صاحب هذا الفؤاد وتجلده؛ ليصور لنا الفؤاد في أشد تجلده وعتوه رغم مآسيه.

واستخدام الطفولة في هذا الانزياح النفسي المتجلد يوحي بقوة في العلاقات، وطفرة في النضوج للتهيؤ لمواقف الأحداث ، التي تتبع الأقدار بالحكمة وردود الأفعال الصارمة.

وفي إيثار التعبير بالجمع في جانب (الأطفال ،والضعفاء) دلالة عميقة تعكس تجارب متلاحمة ثابتة ، مُسلمٌ بها حيث لا تنفك الضراعة من بين هؤلاء؛ لقلة حيلتهم ، فلم يشذ فردٌ من أجناسها،تحكي بذلك التجارب ويشهد بذلك الواقع المرير الأليم.

وهذا يوحي بأن المرء ينتابه الشعور بإحدى تلك الصور التي يلاقيها المرء عند الأقدار الشديدة المغيّرة لواقعه، والتي تجعل النفس من عقارب الساعة تنزاح إلى الوراء مستجدية القدر لعله أن ينصرف عنها ما لاقته منه.

ونفس الشابي في تلك القصيدة نفس متألقة بانفعالات متعددة مليئة بالمواجهة والشجاعة والإقدام وعدم المبالاة لمجريات الأمور والأحداث ، بل

يرعى الأطفال –التي ترمز للضعف – التي تلهو في حمايته وتحت سمائه في تحدٍ صارخ ، هذا التكوين الخطابي له دلالة عميقة باتحاد المخاطبين ، وأنهم زمرة أو رابطة مجتمعة ، يوجه إلى رابطتها خطابا مشرقٌ بالتهديد والفخـــار والقوة والتحدي أيضًا، فهو ينادي معشر الأطفال بالاحتماء به ،يقول[١] :

إنّي أقول لَهُمْ ووجهي مُشـــــرْقٌ ** وَعلى شِفاهي بَسْمة استِهزاءِ

إنَّ المعـــــاولَ لا تهـــــدُّ مَناكِبي ** والنَّارَ لا تَأتي عَلَى أعْضائي

فارموا إلى النَّار الحشائشَ، والعبوا** يا مَعْشَرَ الأَطفالِ تحتَ سَمائي

لعل دعوة الشابي الأطفال أن يلعبوا تحت ســمائه ، انزيــاح بمعــاني الرهبة التي لا تكترث لما يدور حولها ، وقد أمر بإلقاء الحشائش فــي النــار لكي تلقمها ، وفي الناحية الأخرى كم هائل من الأمان الحسي المنزاح للطفولة بشتى أنواعها وبيئاتها ،التي تركض نحوه مجتمعة في مأمن من الفتك والغدر والاعتداء ، وتلك سياسة تمكين ، ورسالة تحدٍ.

والشابي إذن في مواجهة العيش مع الأقدار يتحدى الأحداث بقلب شجاع وعزيمة وإصرار، يقول بعدها [٢]:

سَأَظلُّ أمشي رغْمَ ذلك ، عازفاً ** قيثارتي ، مترنِّما بغنائي

لعل قيثارته وغناؤه هما انزياح وعدول وتجسيد بديع لمبادئه وانفعالاته ، وما يناديه من حقوق وعيش كريم ،في هذا الحياة ، وهي أصدق ما عبر به الشابي ليدلك على تبني المبادئ العظيمة التي يتفق معها الحس والذوق لتلــك السعادة الجامحة .

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٣ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٣ .

٤ – تصوير الطفولة وأكواخها وصور الجمال:

في قصيدة:[الجنة الضائعة] يتغنى الشابي بالعهود العذبة، التي مرّ بها، أو مرت به ، والتي منها عهد الطفولة (وحياة الطفولة كانت تعبر نفس الشاعر إلى عقول القراء من خلال صور الطبيعة وعناصرها الرقيقة الناعمة)[١] ، يقول في مطلعها[٢]:

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسحار مذهبة الأصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ، ومن أغاريد الطيور

وتلك العهود لها مقدار من الجمال الحسي العالي أرق ملمسا من الزهور،والجمال السمعي المتمثل في أغاريد الطيور.

وانتقاء (كم) الخبرية للدلالة على كثرة تلك العهود المتصفة بهذا الوصف البديع تزدان بجميع المدركات الحسية الجميلة البديعة، ومن تلك العهود عهده مع حبيبته .

وكل صورة تتعلق بالجمال يعلوها العذوبة واللهو والابتسامة والطهارة عند الشابي تتعلق طهارتها وعذوبتها بعهود الطفولة الرائعة ، وتكون نابعة من إحساسه الداخلي العميق الذي لا يوازيه شعور ، يتلذذ بذلك العهد الرقيق من خلال تجارب تحملها المشاعر ، ويترجمها الوجدان، يقول الشابي [٣]:

وألذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير

---

(١) أبو القاسم الشابي في شعره ، جرجس ناصف، ص٨١، ط/دار الفكر اللبناني–بيروت،ط١، ١٩٩٣م .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٩٩.

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٩٩.

فأي عهد هو أرق من الزهور ، رؤيةً ، وأحسن صوتا من أغاريد الطيور، وألذ من سحر الصبا في ابتسامة الطفل الناعم ؟ هو ذلكم العهد المحبب إلى قلبه، وقت خلوه بالمحبوبة في فناء الطبيعة الساحرة، وكأن الشابي يطير بهذا الإحساس النفسي العميق المتزاحم في هوى النفس وتَلَقّيها إياه قبولا واستساغة.

ويأتي (ألذ) أفعل التفضيل ، التي توحي بمدلولها تفوق مادتها لذاذة حسية على سحر رياح الصبا التي يتغنى بها العشاق سحرا وجمالا وصبابة؛ ليبنى الشابي لذلكم العهد المحبوب من الجمال الحسي والعقلي والخيالي؛ و ليكسب ذلكم العهد القيمة الجمالية العالية ، وهو في داخله أسير منازعة ومفاضلة تطغى هذه على تلك، قوة وجموحا .

ثم يستثني الشابي من ذلك عهد الطفولة التي تشارك هذه اللحظات الجميلة المحبوبة، حيث (يروي الشاعر حكايته مع الحبيبة أيام الطفولة فإذا هو لهو بريء في أحضان الطبيعة الحلوة الساحرة ببراءتها ، ولنتفهم معًا هذه السذاجة العذبة التي تتحول فيها الطفولة والأطفال إلى بعض من الطبيعة الوادعة) [١]، يقول الشابي[٢]:

قضيتها – ومعي الحبيبة –لا رقيب ولا نذير
إلا الطفولة حولنا ،تلهو مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير....
وطهارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور، بين جداول الماء النمير

(١) أبو القاسم الشابي في شعره، ص٨١ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٩٩.

أيام لم تعرف من الدنيا سوى مرح السرور

ويصاحب الجمال مع العذوبة عهدين : عهد المحبوبة وعهد الطفولة اللاهي حولهما ، ويصاحب الخُلوة الطهارة والنقاء والسحر والوداعة والمرح، وهي من قوانين الطفولة الحالمة التي تترد في شعره وفكره ووجدانه .

وقدم كلمة (معي) في قوله : (قضيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذير)؛ لبيان الكم الهائل من المشاعر النفسية المصحوبة مع تلك المحبوبة ، وكأنها من مشاهد الجمال المصحوب معه ، يتحدث بما يشعر تجاه هذا الجمال الآسر، فكان على حدّ تعبير سيدنا موسى –عليه السلام– الذي نقل تجربة المعية لقومه أمانا لهم ، وذلك عند قوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الشعراء :٦١,٦٢]، حيث قدّم المعية هنا ؛ لتسكين الخوف لدى قومه بنفي إدراك فرعون له خاصةً ، حتى يؤمنوا به ويثقوا له ،وأنه مصحوب بمعية الله ، فحدّثهم عن مصاحبة الله له في نجاته من فرعون ، وجاءت على نسق البيان الصادر من الله سبحانه لطمأنة قلب سيدنا موسى –عليه السلام– قبله عند قوله تعالى: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه:٤٦] ، أمّا ما جاء في ردّ النبي – صلى الله عليه وسلم– لأبي بكر– رضي الله عنه–:(إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)[التوبة : ٤٠]، فكان لطمأنة قلب أبي بكر – رضي الله عنه– ولتقديم اسم الجلالة دلالة على ربط النبي – صلى الله عليه وسلم– على قلب أبي بكر بأن الله معهم يحوطهم بأمنه ، وهي أعلى شأنًا من رد سيدنا موسى –عليه السلام– ،

والمعية في القصتين خاصة [١]، وإن كان لكل ردٍ مقاما هي فيه أبلغ، ومناط الجمال في كلٍ التقديم .

والمتأمل في السياقين يرى – والله أعلم–أن تقديم المعية في شأن قوم سيدنا موسى –عليه السلام – أنهم يريدون شيئا ماديا يصدقونه فناسب المسارعة بتقديم المعية والملازمة والعناية مع قلة إيمانهم، أمّا ما جاء في شأن أبي بكر – رضي الله عنه– فهو ارتقاء واصطفاء لما له من النبي – صلى الله عليه وسلم حظوة بتفرد الصحبة وأوليّة التصديق والإيمان، فناسب تقديم مُنشئ المعية ومسببها ومدبرها، فبحوزته السبب قبل المسبب ، فكيف يتسلل إلى قلبه القهر والغلبة.

وترى المزاوجة الإيقاعية المتوازية بين : (لا رقيب ولا نذير) التي يشعر منطوقها بالانفلات الأخلاقي ، لكنه لم يكن كذلك ؛ لأنه دام في حراسة الطبيعة ، فكانت شاهدة على الطهر والعفة والصدق الذي لم يحوجه إلى رقيب أو نذير، كذلك كانت الطفولة حولهم ، وهي لغة إشارية من الاستلزام الحواري [٢] التي لها دلالة أكيدة على معنى الرقيب وما تحويه من غرائز

---

(١) ينظر:العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ،محمد الأمين الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ) ٥٣١/٥،ط/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،ط٢، ١٤٢٦ هـ. تح:خالد بن عثمان السبت.

(٢) الاستلزام الحواري : هو عبارة عن عملية ذهنية للربط بين المعنى وما يقتضيه الخطاب التداولي عن طريق التأويل،ينظر : نظرية الاستلزام الحواري واستيراد المعرفة ، د/ عبد المحسن محمود، ص٤٥٠، بحث مستل من كتاب المؤتمر الدولي "قراءة التراث العربي والإسلامي بين الماضي والحاضر، –الدراسات اللغوية ١،مركز تحقيق المخطوطات –جامعة قناة السويس٢٠١٧م.

الطهر و العفة والمرح ، وهنا يتناسب التوازي مع مشاعر الشابي النفسية للدلالة على فرط الثقة[١] .

وعبّر بالحب الصغير ؛ الذي لم يكتمل إشارة حوارية على قصر هذا العهد بسبب ما ذكره التاريخ بوفاة محبوبته بسبب المرض الذي داهمها وهي صغيره ففرق بينهما[٢] ، وفقد الشابي عندها كل شيء ، وانطفأ كل جميل ،ولعل هذا تفسير استعمال الشابي للطفولة في كل الأشياء حوله له عهد قصير وصغير كعهد الطفولة .

فهذا الشعور الذين يدين لهذا الحب العذب المصاحب لذاكرة الشابي ، الشبيه بالطفولة الحالمة البريئة الثرية بالمعاني الطاهرة الجميلة ، فلم يكن الالتقاء التقاء طيش بل التقاء طهر ومودة ونقاء في محراب الطبيعة ذات الجمال الآسر ، فهناك الروض المطير، والموج الجميل الطاهر، والشواطئ المنيرة الساحرة، والعصافير التي تغرد في وداعة ، وجداول الماء العذب ، والمرح والسرور ، كل هذه الأشياء الجميلة شاهدة على هذا الجمال المتغنى بالطهر والنقاء والصفاء،فالشابي يؤرخ لحياته السعيدة التي يحس بها من حوله؛ لأن الإنسان إذا أحس بالانتشاء من موقف معين تراه سعيدا دائما بمن حوله ، وبكل ما حوله ،يقول الشابي:

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير....
وطهارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور، بين جداول الماء النمير

---

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد،ص١٢١،ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨م.

(٢) ينظر: أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه ، ص٣٨.

أيام لم تعرف من الدنيا سوى مرح السرور

ومما سبق يمكن أن يرد على ما ثبت في الأذهان أن الشابي صاحب النظرة التشاؤمية ، ولا يمنع ما أقره بعض الباحثين من أن الشابي:(اتسم بالأنّة الحزينة ، والألم العميق والسوداوية القائمة إلى جانب نفس متفتحة بالحياة والحب)[١]، فمثل هذا وإن كان موجودا في شعره ، فهو من بين الوجوه التي أبدع فيها الشابي بوجدانه وعقله ،لكن الأمر لا ينبغي أن يكون على إطلاقه، تراه يقول عن هذا المرح القديم البريء [٢]:

وبناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور

وهذا البناء دلالة على أنه يسري في مأمن من الحوادث الأليمة والأوجاع، وينتقي لبنائه مكانا مناسبا من جنسه الضعيف الرقيق ، يرتع تحت أعشاش الطيور الآمنة.

هذا الكم الهائل من الألفاظ والمفردات والنظائر لمعالم البيئة المحيطة ، والشعور المترابط الحسي والعقلي ، والذكريات المتدفقة ، لم ترد على لسانه؛ لأنه انتقاها أو فكر فيها بل لأنها هي العالم الذي أحدق به ، ونشأ في إطاره ، فهي ليست في نظره كلمات شعرية يتغنى بها فيما مضى. وإنما هي أحداث ووقائع جميلة يؤرخ لها الشابي ، وفيما سيأتي من نماذج حية غاية في الإبداع، إنما هي وقائع وأحداث وحقائق تقلب في أوساطها وألِف مناخها، وعايشها بروحه وقلبه ووجدانه ومشاعره [٣].

---

(١) القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، واصف أبو الشباب، ص١٣٠، ط/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي، ص ١٩٩.

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي، ص٩.

ثم يعود الشابي فيأتي ما بناه من عهود لم يبق من مرحها وبراءتها ما يدعو للشدو بالجمال، متمردا على تلك الطبيعة القاسية ،حيث تغير كل شيء من تلك العهود السابقة ،وما ذلك إلا لطبيعة القدر، وتغيّر المآل من حال إلى حال، ولعل الشابي ينقل هذا الواقع نقلا أمينا ويؤرخ للأحداث من خلال نافذته الشعورية لما يراه ويلمسه من العالم الخارجي بجماله وعفويته وما يعتريه من تقلبات وأحوال ماحية لهذا الجمال ، يقول الشابي[١] :

ماذا جنيت من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغرير
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
هذا حصادي كله ، في يقظة العهد الأخير

هذه خلاصة التجارب التي مرّ بها الشابي من حقبٍ مليئة بالتجارب صارعته وصارعها حتى انتهى المآل إلى ما انتهى إليه من يقظة العهد الأخير.

ترى الانزياح بالاستفهام يدلك على المحاسبة للنفس ، في قوله: (ماذا جنيت من الحياة...) وتلك المحاسبة من الأسباب المعينة على كثرة التعامل مع أدوات الاستفهام [٢] ؛ ليقرر حقائق مادية ملموسة من واقع الحياة المرّ المليء بالأسى واليأس والدمع في توارد بديع لمراعاة النظير [٣] ،المتماثل بين كلماته في المعنى .

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: الغربة المكانية في الشعر العربي ، عبده بدوي،ص٣٨ مجلة عالم الفكر – الكويت، المجلد١٥، العدد الأول ١٩٤٨م .

(٣) مراعاة النظير : (أن يجمع بين الكلام وما يناسبه لا بالتضاد)الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني، ٢/،٣٥٥ ، ط/ دار الكتب العلمية –بيروت لبنان .

وتكرار الجملة الاسمية: (هذا حصادي...) تحدث إيقاعا صوتيا موسيقيا خافتا يدل على قرب المشار إليه ؛لتعيينه وتمييزه أكمل تمييز للسامع ، وكأنه شيء مادي ملموس ، بترشيح من كلمة:(حقول العالم).

وإحداث الضجة المتتابعة من كثرة الإضافات التي أخلفت فوضى منتظمة : (العالم الرحب الخطير).

وحال الشابي في تلك الأحداث المؤلمة التي تنقل بينها ببراعة ، لم يكن متذبذبا ، لكنه نطق بما تمليه عليه نفسه رضًا في بعض الأمور ،ورفضا في بعضها الآخر، والناظر في تجارب الشابي يجد نفسه أمام حبٍّ يائس، أو ذكريات مؤلمة ، أو عذاب نفسي ، أو تأمل كوني ، أو انحطاط اجتماعي (وليس في تاريخ الشعر العربي كله فتىً عبّر عن حياته بصدق ، وتمثل في شعره ما كان يجول في كيانه الداخلي والخارجي ، مثل أبي القاسم ، فهو لم يعتمد قط أن يكون شاعرا ، وإنما ساقته تجاربه سوقا نحو هذا الفن ، وهي التي ألهمته كل ما قاله) [١].

ثم يندب الشابي حظه أيام العهود الجميلة ،والتي منها عهد الطفولة حيث السذاجة والطهر والنقاء واللهو وعدم المحاسبة ، وعدم اللامبالاه ،يقول الشابي نادما على ما كان من ذلك العهد الجميل البريء وهذا الزمان المنصرم بكل ما فيه من جمال[٢] :

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور
أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا نحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ص ١٤ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي، ص ٢٠٢.

وإيثار الشابي العطف بالواو بين المترادفات لزمن الطفولة: (السذاجة ، والطهور) وهما شيئان لزمن واحد بمعانٍ مشتركة متحدة من عطف النظائر، والواو هنا تفيد التغاير ، وتأت لمطلق الجمع[١]، فالسذاجة وإن كانت مبينة للطفولة لكنها ليست هي على الإطلاق، وكذلك الطهور ، فلا تراهما ترجمة حرفية أو قل دلالية للطفولة ،بل هما بيان لها من بعض الوجوه ، فالسر في العطف بالواو هو الترادف والتنوع والبيان.

وعبّر بالزمن عن عهد الطفولة ؛ للدلالة على الإيقاع الصوتي المنسجم والمتناغم مع قصر العهد الذي ادّخره التعبير بحذف الألف منها ،ومع هذا كانت كافية لكي يتغنى بها ،ولم يكن الشابي خارج هذا الزمن المتعدد المعاني، بل كان فيه ، و ينعم بداخله.

أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا نحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور

والتناغم الصوتي بين (أحيا ، و تحيا) أثر في نفس المتلقي بتوازي الحياة الجميلة في نفس الشاعر، وتوارد الألفاظ : البلابل ، الجداول، الزهور، من مشاهد الطبيعة الغناء المدركة بالحس البصري في الحياة الجميلة التي تبرز الأريحية والرضا النفسي لتلك الحياة .

وهذا النعيم، الذي يحياه الشابي ، ويجول بخياله للمدركات الجمالية الحسية سمعا وذوقا وشمّا ورؤية، داخل هذا الزمن مكتمل السعادة ، فما في الطبيعة من سحر يتغنى به البلابل ، وعيون تتزين بمناظر جداول الماء ، وزهور الطبيعة.

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي،ص١٦٢،ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٩٢م.

وتعدي الفعل (نحفل) منفيا بلا ،ليفيد العزم على تأكيد النفي ،والحراص على عدم الاكتراث ، وتجدده ، واستمراره ؛ لينتقل بعدها بتأكيد هذا النفي الذي لا يبالي من حوله لشدة ما يشعر من ثقة مفرطة واعتزاز بنفسه : (تدور بأهلها أو لا تدور) في طباق سلب ، يبرز المعنى ويوضحه ، ويتجلى عدم الاكتراث بما يدور في الحياة من أحداث، يستلزم دلالة نفسية عميقة المعاني ، وذلك بأحقية العيش لجميع الأحياء ، وهذا ما يناديه كل حر لتلك الحياة .

المبحث الثاني

تصوير الأشياء بالطفولة:

١- تصوير المرأة العذبة بالطفولة:

هذه القصيدة هي التي حركت دوافعي للعمل بهذا البحث ، تحديدا التعبير بكلمة عذبة ، والتصوير بالطفولة في قصيدته : [صلوات في هيكل الحـــبّ] يقول الشابي [١]:

عذْبةٌ أنتِ كالطّفولةِ ، كالأحلا***مِ كاللّحنِ ، كالصباحِ الجديدِ

كالسَّماء الضَّحُوكِ كالليلةِ القم*** راءِ كالورد ، كابتسام الوليد

استهل الشاعر قصيدته استهلالا بديعا بقوله: (عذبة أنت) حيث يصف محبوبته التي لم يعلن عنها صراحة ، ســواء كانــت شخصــية حقيقيــة أم افتراضية من خياله[٢]، وقيل:إنها (فتاة انجليزية مصورة كانت قد أقامت مــدة بتوْزر لتصوير بعض مناظر المدينة وواحاتها)[٣].

تلك الفتاة الملهمة يصفها الشابي بوصف رقيق متعدد الصور البيانية يبدأ من إطلاق جزء يسير من تكوينها وهو (الريق) الذي يوصف بالعذوبة أجمل وصف، في أسلوب التقديم لتكون العذوبة عنوان مذاقها ، ولم يكتف بذلك بــل

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص١٧٤.

(٢) اختلف النقاد حول هذا الحب ، هل هو حب مادي أم روحاني؟ تقول د/ نعمات: (وناقد آخر يرى أن الشابي لم يكن يحب حبا ماديا يبغي به قضاء وطر أو وصال حبيب ... بل كان قلبه يخفق بحب روحي علوي يتمثل له في مشاهد الطبيعة الساخرة ، وفي مناظرها البهيجــة ، ولكني من مدارستي الموضوعية أقف إلى جانب الرأي القائل بأن الشابي كان يحب امــرأة بعينها، رفع إليها صلواته ، في هيكل الحب ، فهه الحرارة والدفق والبَهْر لا تنبعث جميعا – وبهذه القوة والعمق والذهول، إلا من قلبٍ عميدٍ) الشابي شاعر الحب والحياة، ص٤٥.

(٣) الشابي شاعر الحب والحياة، ص٢٨٢.

جعلها مصدر العذوبة المؤكد الذي يشمل التكوين الجسدي كله، فلم يقل:(عذبٌ ريقك، أو ريقك عذب) وهذا الادّعاء مقصود ؛ ليدلك هـذا الانزيـاح وهـذا العدول الحسن عن اكتمال أوصاف الجمال المتذوق فيها.واستحضار الشـاعر لخطاب المحبوبة للتملي في جمال أوصافها التام المتعدد والمتنوع .

وهذا التصوير –فيما أحسب– من إبداعات الشابي ، التي تحسب لـه ، فلم أجد شاعرا ممن سبقه أو أتى بعده استعمل هذا الوصف الرقيق في جانب المرأة العذبة ،وتشبيهها بكيان الطفولة ،(والشاعر المبدع هو الذي لا يعتـرف بأي كيان للألفاظ خارج قصائده ،فما يكاد يستعمل اللفظة من اللغة في شـعره حتى تصبح ملكا خاصا له. لها في داخل القصيدة كيان وشخصية وروح) [١].

ولا يخفى ما في البيت من أداءٍ فنيٍّ فذٍّ ،زاد من تناغم الـنص ، يكـاد يخفي عمقًا وبعدًا للحياة البريئة التي يجسدها الشابي لمن وقع غيّها في فؤاده.

وقوله:(عذبة أنت) تقديم الخبر على المبتدأ ، فأصل الكلام: أنت عذبة؛ للتفاؤل والاستبشار ، وفيه معاني اختصاص المسند بالمسند إليه [٢].

ولعل ابتداء الشاعر بالعذوبة دون غيرها من أوصاف الحسـن للدلالـة على الارتياح النفسي لمن يستقبل الخطاب ، وتعد منزعا من منـازع الألفـة والقرب الذي يملي على صاحبه الدفء المتبادل ، وهي صورة ذوقية .

ثم أتبع هذا الوصف الرقيق ثمـاني تشـبيهات متواليـة متوازيـة [٣] كالرصف الحسن الذي يزين من أوصاف تلك المرأة المخاطبة :

---

(١) الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، ص١٨٣، ط/ دار العلم للملايين– بيروت،ط٢، ١٩٧١م .

(٢) ينظر: البلاغة العربية ، ٣٧٦، وما بعدها .

(٣) التوازي: (هو عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمـات أو العبارات القائمة على الازدواج الفني) البديع والتوازي، عبد الواحد حسـن، ص ٧،ط/ مطبعة الإشعاع الفنية، ط١، ١٩٩٩م.

التشبيه الأول : كالطّفولةِ ، وهو إطار الدراسة.

حيث شبه تلك المرأة بالصور المدمجة السابقة في كلمة :(عذبة) بصور أخرى متمثلة في معاني الطفولة التي تبعث على اكتمال الصورة البصرية كثيرة الحركة تارة والتؤدة تارة أخرى، التي تذوب فرحا وسعادة ،ويتجلى وجه الشبه في البراءة والوداعة والطهارة والنقاء . ومناط الجمال في هذا التمثيل إقامة الحجة على صحة وجود الجمال في نفس المحبوبة ، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاتها وأصلها[١] بما يقابل الطفولة تناسبا ومقاربة، أيضا بيان وصف عذوبة المرأة صاحبة الأبيات العجيبة الثناء والإطراء .

ويعد هذا الانزياح شعورا بالراحة النفسية التامة لاستقبال البراءة المتمثلة في كيان الطفولة التي عليها وجه تلك المرأة الجميلة وما ينزاح من معاني الطفولة الرقيق العذب البريء على نبع تلك المرأة ، وعبر بالمصدر ؛لإلحاق المعاني الصادرة من جنبات الطفولة المتعددة المشاهد والأحداث الثابتة ، وهو عدول في الصيغة عن الزمن الطبيعي للمرأة فهي مجرد طفولة تجري في معانيها البراءة والرقة والوداعة وذلك من منظور الشابي من خلال ما تترجمه النفس والمشاعر لا الواقع ، والشابي من شعراء الرومانسية الذين يبرزون (الناحية الوجدانية في حياة الفرد ،و التوكيد على شعوره هو من غير أن يربط نفسه بالمدارك التي قبلتها بيئته : إن الفرد الرومانسي يحاول أن يرى كل شيء حوله من خلال نفسه هو) [٢].

---

(١) ينظر:أسرار البلاغة ، ص١٢٥.

(٢) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ص٧٣.

وللشابي أيضًا في قصيدة (قلب الأم) نفس تلك الرؤى الجميلة ، وترى فيها التصريح بتلك المعاني التي تبدو جلية على التشبيه بالطفولة:(وداعة الوجه ، وهدوءه، ومنظره الوسيم) [١]:

ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم

التشبيه الثاني: كالأحلام .

وتصوير المرأة العذبة بالأحلام في بعد المنال والسعادة برؤيته، من الصور المتوالية التي تضيف للسياق انزياحا وعدولا متناسقا بزرع المعاني والأخيلة الذهنية العالية التي تطل من وراء الأحلام المتمنّاه من المرء أن تتحقق، فتحرز سعادة بالغة يتطاير عند ملامستها المرء فرحا، وعبر بالأحلام بطريق الجمع لتوالي الأحلام وتعددها مرورا على الخاطر ،والمراد الحسنة منها .

وهذا التصوير يتردد في القصيدة صراحة في غير موقف فترى الأحلام تسيطر على مشاعره غير مرة :

وتَبُثِّين رقّةَ الشوق ، والأحلامِ ** والشّدوِ ، والهوى ، في نشيدي [٢]

تسيطر على الشاعر أفكارٌ هي محور القصيدة تبعث على الراحة والاطمئنان والمتعة ، فالأحلام التي تشبهها المحبوبة هي دنيا يتشكل منها متسع لخياله بل فوق الخيال، ففي موضع آخر يقول [٣]:

أنتِ دنيا من الأناشيد والأحْلام ** والسِّحْرِ والخيال المديدِ

أنتِ فوقَ الخيال ، والشِّعرِ ، والفنِّ ** وفوْقَ النُّهَى وفوقَ الحُدودِ

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،١٨٤ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٥ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٦ .

ولاكتمال صورة الأحلام المرتكزة على الجمال الرائع جعل لها حقلا من الفضاء الخارجي الماثل في فؤاده وإحساساته الداخلية ممزوجة بالطبيعة الفريدة ذات المشاهد الخلابة، حيث يقول [١]:

في فؤادي الغريبِ تُخْلَقُ أكوانٌ ** من السحر ذات حسن فريد
وشموسٌ وضَّاءةٌ ونجومٌ ** تَنْثُرُ النُّورَ في فَضَاءٍ مديدِ
وربيعٌ كأنّه حُلُمُ الشّاعرِ ** في سَكرة الشّباب السعيدِ

التشبيه الثالث : كاللحن .

ثم يتبع الأحلام تصوير اللحن ، وذلك في التناغم والانسجام التام الصوتي، وتلك صورة سمعية مصاحبة لقبول النغم المرسل من اللحن ،وأفرد الشابي اللحن؛ لندرة الألحان القيمة .يقول مؤكدا تلك المعاني [٢]:

أنت أنشودةُ الأناشيد ، غنّاكِ ** إله الغناءِ ، ربُّ القصيدِ

وذلك بجعلها مركز الألحان ، مع التحفظ بما يظهر في كثير من شعره عبارات لا تليق بالأدب الإسلامي، مثل قوله: (إله الغناء ، رب القصيد)، ولقد ثار عليه العلماء والأدباء والنقاد ثورة جامحة ،كيف يقول مثل هذا الكلام الخارج عن تعاليم الدين الإسلامي، ورأوا أن الشابي في تعبيره هذا وثني يؤمن بإله الغناء [٣]، وللنظرة الدقيقة إن الشابي يجاري من سبقوه من أدباء الغرب ويحاكيهم ، ولا يعتقد في ذلك اعتقادا يمس بالدين وأحكامه ، وبعضهم فسّر محاولته هذه بأنه يقصد أن الله إله لكل ما في الوجود[٤]، فلا يؤمن بتعدد الآلهة كما يفهم من المعاني الأولية للكلام.

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٧ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي١٧٥ .
(٣) ينظر: الشابي شاعر الحب والحياة ، ص١٣٦.
(٤) ينظر: أبو القاسم الشابي حياته وشعره ، ص٩٢.

ويبقى اللحن والألحان والغناء محورا من المحاور الملصقة في رحاب المحبوبة مسيطرة في أجواء القصيدة [١]:

وتراءى الجمالُ ، يَرْقُصَ رقصاً ** قُدُسيًّا ، على أغاني الوجودِ
وتهادتْ في أُفْقِ روحِـــكِ أوْزا ** نُ الأغَاني ، ورَقّةُ التّغريدِ
فَتَمايلتِ في الوجود ، كلـــحنٍ ** عبقريٍّ الخيـالِ حلوِ النشيدِ
خطواتٌ ، ســكرانةُ بالأناشيد ، ** وصوتٌ، كرجْــع ناي بعيدِ
وَقوامٌ، يَكَـــادُ يَنْطقُ بالألحان ** فـــي كــلِّ وقفـــةٍ وقعودِ
كلُّ شيءٍ موقَعٌ فيـــكِ ، حتّى ** لَفْتَةُ الجيــد، واهتزازُ النهودِ

في هذه المقطوعة الصوتية الرائعة يتغنى الشـابي بجمـال الأغـاني والألحان العذبة في محراب روح محبوبته، حيث الأغاني وأوزانهـا ،ورقـة التغريد، وحلو النشيد،وترداد صوت الناي البعيد ،واهتزاز القوام الممشـوق، الذي يضيف إلى اصطفاف الجمال الصوتي جمال خَلقي فاتن وجسدي لافـت الجمال ظاهر الدلال والرقة .

التشبيه الرابع : كالصباح الجديد

وفي تصوير المرأة بالصباح الجديد إضافة لصور الجمال المتعدد، لهذا المشهد الفني متلاحم الأجزاء، حيث يتمثل وجه الشـبه فـي حلـول النسـيم والنشاط والصحو المتتابع والإشراق . وحدّه بالجديد ؛ للدلالـة علـى تجـدد الصباح يوما بعد يوم ، صباحا بعد صباح من جوانب متعددة الجمال متجـدد الحيوية، وهذا انتقال وانزياح من عالم الإنسان إلى العالم الخارجي المتجدد ، وهذا مما حدا بعض النقاد أن يقنع بالقول بأن الشابي في هذه القصيدة أحـبّ (حبًا جديدا لفتاةٍ جديدة)[٢] .

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٥ .
(٢) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ص٤٦ .

يقول الشابي في هذا المعنى البديع المرصود بعناية فائقة ، من بداية طلعة الصباح الجديد الباعث على الأمل والنشاط [١]:

أنتِ قُدْسي، ومَعبدي، وصباحي، ** وربيعي ، ونَشْوَتِي ، وَخُلودي
يا ابنةَ النُّور ، إنّني أنا وَحْدي ** من رأى فيكِ رَوْعَةَ المَعْبُودِ
فدَعيني أعيشُ في ظِلّك العذْبِ ** وفي قرْب حُسْنك المشهودِ
عيشةً للجمال والفنّ والإلهام ** والطُّهرْ ، والسّنَى، والسّجودِ

فتلك المعاني المصطفة في محراب جمال روح المحبوبة متنوعة الصور البديعة ، والانتقال من التشبيه بالصباح الجديد بإضافتها إليه ضمن حزمة من المعاني الفياضة: قدسه ومعبده وصباحه وربيعه ونشوته وخلوده.

وفي موضع آخر يجعل محبوبته ضوء الفجر ، وأي فجرٍ إنها ضوء فجره هو فيضيف الفجر لنفسه إضافة لطيفة ، فلم تكن ضوء الفجر بل ضوء حياته ووجدانه ،يقول [٢]:

وامنَحيني السّلامَ والفرحَ الرّو ** حيَّ يا ضَوْءَ فجْريَ المنشودِ

ثم يصف الصباح في موضع آخر بالجميل ؛ وفي غيره بالوليد كما سيأتي بعدُ؛ ليضيف إلى مشاهد تلك الصورة: الصباح الجديد ،صباحا آخر مختلفا، لكنه جميل هذه المرة ، كل هذا في عالم المحبوبة؛ لتجمع محبوبته بين الجدة والجمال[٣]:

فالصباحُ الجميلُ يُنعشُ بالدِّفءْ ** حياةَ المحطَّمِ المكدودِ
أَنقذيني ، فقد سئمتُ ظلامي ! ** أَنقذيني ، فقد مللتُ ركودي

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٦ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي١٧٦ .
(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٦ .

ثم يقول أيضا [١] :

وقصورٌ كأَنَّها الشَّفَقُ المخضُوبُ ** أو طلعةُ الصباحِ الوليدِ

وما تعبير الصباح الجديد والوليد إلا رمزًا جريئا في محراب كل بدايةٍ، لا سيما عهد الطفولة الحالم المذعن بالبراءة والجمال الفاتن.

التشبيه الخامس: كالسماء الضحوك .

وفي تصوير المرأة بالسماء الضحوك ، إبداع فني رقيق ،ولوحة فنية عالية المشاهد التي تبعث على السرور والراحة ، وتلك الصورة منسوجة من خيالات الشاعر ، ابتدأت بالتشبيه في انتشار البهجة والشعور المنسجم بالسعادة والسرور، وانتهت أيضا بتجسيد السماء بالوجه الضحوك ،وتلك صورة بصرية مشاهدة ؛ وذلك للدلالة على تكثيف المشاهد الجميلة التي تبعث على الراحة والاطمئنان؛ لينبئ عن امرأة فائقة الجمال ، ومن حولها كذلك، وأن هذه مثالها، وأحوالها.

التشبيه السادس: كالليلة القمراء.

ولاكتمال المشهد الحسن أضاف تشبيه المرأة التي يسبح في محراب جمالها بالليلة القمراء على غير عادة الشعراء في تصويرها بالبدر أو القمر لا الليلة نفسها ؛ ليدلك على انتشار الجمال وتأثيره على كافة الأرجاء ، ليؤكد جمال المحبوبة وتأثيرها على من حولها .

التشبيه السابع: كالورد.

وانتقالا من معاني الطفولة و الانسجام والمتعة السمعية والمشاهد الكونية البديعة أضاف مشهدا بديعا حافلا بالمعاني اللطيفة التي تنبعث من ملمس

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ١٧٧ .

الورد الناعم اللين ، والألوان البديعة الزاهية، والرائحة المنبعثة التي يتبادلها المحبين بين الحين والآخر.

ثم يؤكد أنها لم تكن صورة مزهرة بديعة بل هي روح الربيع للدنيا كلها[١]:

أنتِ روحُ الرَّبيعِ ، تختالُ ف ** الدنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورودِ

ويقول أيضا مضيفا إلى روعة الورود وجمالها الناضر ، وحركاتها الملتفة مضيفا عطر الورود ،حتى يجمع للصورة المرئية الصور الأخرى المتممة لحسن البيان والتي منها الصورة الشمّية [٢]:

فيكِ شبّ الشَّبابُ ، وشَّحهُ السِّحْرُ ** وشدوُ الهوى ، وَعِطْرُ الورودِ

ولم يقل عطر الورد بل أوردها على صيغة الجمع لاستغراق جميع أنواع العطور المستخرجة من جميع الورود .

ترى صورة الورود تترد في ذهن الشابي حتى في حضور بصيص من الأمل وسط الأسى والحزن ، فهي بذرة الآمال حتى ولو كانت ذابلة تستخرج من بين الأشواك يقول [٣]:

وإذا ما استخفني عبث النا** س تبسمت في أسى وجمود

بسمةً مُرَّةً ، كأنِّيَ أستلُّ ** من الشَّوْك ذابلاتِ الورودِ

وتترد الصورة المرئية لجمال وريقات الورود المنثورة فيشبه الغيوم الرقيقة التي تتهادي بوريقات الورود المنثورة يقول [٤] :

وغيومٌ رقيقة تَتَهادَى ** كأَباديدَ من نُثَارِ الورودِ

---

(١) ديوان أبي القاسم ١٧٤ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،١٧٥ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي ،١٧٦ .

(٤) ديوان أبي القاسم ١٧٧ .

التشبيه الثامن: كابتسام الوليد.

يقف الشاعر على ما ابتدأه أولا من معاني الطفولة منتقلا منها إلى أرحب متعددة، ومجالات واسعة غاية في محاريب الجمال ، ثم يختم ما ابتدأ به وهو ابتسام الوليد، الجامع لمشاهد البراءة والطهر والنقاء تتميما للمشاهد الحالمة، التي يتفتح لها أسارير القلب ويدخل عليها البهجة والسرور ، وعدم تمالك النفس عند رؤية ابتسام الوليد، وتلك الصورة من مشاهد الطهر والجمال والبراءة والوداعة المرئية التي تنفتق بها أسارير انفعالات الشابي النفسية، يقول الشابي لرصد تلك التنقلات البديعة [١]:

وَتُشِيدينَ في خـــرائبِ روحي ** ما تلاشى في عهديَ المجدودِ

من طموحٍ إلى الجمالِ إلى الفنِّ ** إلى ذلك الفضـــــــاءِ البعيدِ

والفضاء البعيد الذي يبعث على الأريحية وما ذلك إلا برؤية ما يُسر به، وابتسام الوليد من جملة ما يسر به في هذا الفضاء الواسع ، وهو من جملة الطهر والجمال البريء، يقول [٢]:

فدَعيني أعيشُ في ظِلّك العذْبِ ** وفي قرْب حُسْـــنك المشهودِ

عيــشةً للجمال والفنّ والإلهام ** والطُّهرْ ، والسّنَى ، والسّجودِ.

وحفلت هذه الأبيات بشبيهات متتابعة يعضد بعضها بعضا، ويرسم فيها مفتاح الموسيقى وهو الكاف التي تمثل إيقاعا موسيقيا يملؤه السعادة والجمال والبهجة والفرح،(فكانت الكاف تكشف عن حلقات متتابعة متصلة لمرحلة عاطفية خاصة عاشها الشاعر، وهذه المراحل متلاحقة مترابطة ، لكنها تشكل في بنائها وحدة موسيقية وإيقاعية مستقلة: (كالطفولة، أو كالصباح الجديد...)

(١) ديوان أبي القاسم الشابي ،١٧٥ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي ،١٧٦ .

،هذا الإيقاع هو إيقاع نبضات قلب الشاعر وزفراته التي كان ينفثها تجاه محبوبته؛ لأن الصوت يجسد الإحساس ويجعل السامع يستشعر المعنى بطريقة مباشرة)[١].

وتتابع التشبيهات للدلالة على عمق التجربة الشعرية عميقة الإحساس، فريدة المشاعر التي يريد وصفها الشابي بما يخالط فكره وعقله حسا وعقلا وروحا، وهي كما يقول عبد القاهر: (ولم تأتلف هذه الأجناس المختلفة للمثل ، ولم تتصادف هذه الأشياء المتعادية على حكم المشبه ، إلا لأنه لم يراع ما يحضر العين ، ولكن ما يستحضر العقل ، ولم يُعنَ بما تنال الرؤية، بل بما تعلق الرويّة، ولم ينظر إلى الأشياء من حيث تُعَى فتحويها الأمكنة ، بل من حيث تعيها القلوب الفطنة) [٢] ؛ لذا ؛ يؤكد الشاعر تلك المعاني السابقة والمنتشرة في ديوانه بكثرة مما يدفع نظرية التشاؤم المطلقة في شعره، وذلك يقول الشابي في الأبيات التي بعدها مباشرة [٣]:

يا لها من وَداعةٍ وجمالٍ*** وشبابٍ مُنَعَّم أمْلُودِ!
يا لها من طهارةٍ، تبعثُ التقدي *** سَ في مهجة الشَّقيِّ العنيدِ !
يالها رقَّةً تكادُ يَرفُّ الوَرْ *** دُ منها في الصخْرةِ الجُلْمُودِ

ثم يقول أيضًا : أيُّ شيء تُراكِ ؟

هل أنتِ ' فينيسُ تَهادتْ*** بين الورى مِنْ جديدِ
لتُعيدَ الشَّبابَ والفرحَ المعسو*** لَ للْعالم التعيسِ العميدِ !

---

(١) التشكيل الموسيقي في شعر أبي القاسم الشابي، د/ كوثر هاتف كريم ، وآخرون ،بحث في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد ١٣، السنة السابعة، ٢٠١٣م، ص٣٤٤.

(٢) أسرار البلاغة ، ص ١٥٠ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي١٧٤، .

ثم يقول أيضًا :

أنتِ... أنتِ الحياةُ ، في رقَّةِ الفجِ*** ر في رونق الرَّبيعِ الوليدِ [١]

ويبدو أن ريشة الشابي أرادت أن ترصد تلك الأوصاف المجتمعة في تلك المرأة، فقررت أنها مع هذا كله شخصية عبقرية غامضة محيرة الجمال، محورها مجامع الطهر والجمال والبراءة والوداعة والحلاوة والتفرد والحسن وراحة البال والسحر والجدة، يقول [٢] :

أنتِ..، ما أنتِ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ ** عبقريٌّ من فنِّ هذا الوجودِ

فيكِ ما فيه من غموضٍ وعُمقٍ ** وجمالٍ مُقَدَّسٍ معبودِ

والشابي ليس بمعزل عن بيئته المحيطة به ، فتراه يعبر عنها مباشرة ، والبيئة (المتصلة بحاجاته الفردية ورغباته الشخصية ، لا يريد أن يبعد إلى ما وراء مشهوده إلا إذا جسّم له خياله أمرًا من الأمور) [٣]. والبيئة من حوله هي شاهدٌ على أنسه في تلك الحياة الزاخرة بالمعاني الجميلة ، وشاهدٌ على صبابته ، تراه يقول [٤] :

آهِ يا زَهرتي الجميلةُ لو تَدْرِين ** ما جَدَّ في فؤادي الوَحِيدِ

في فؤادي الغريبِ تُخْلَقُ أكوانٌ ** من السحرذات حسن فريد

وشموسٌ وضَّاءةٌ ونجومٌ ** تَنْثُرُ النُّورَ في فَضَاءٍ مديدِ

وربيعٌ كأنّه حُلُمُ الشّاعرِ ** في سَكرة الشّباب السعيدِ

و رياضٌ لاتعرف الحَلَك الدَّاجي ** ولا ثورةَ الخَريفِ العتيدِ

وَطُيورٌ سِحْرِيَّةٌ تتناغَى ** بأناشيدَ حلوةِ التغريدِ

---

(١) ديوان أبي القاسم ١٧٥ .

(٢) ديوان أبي القاسم ١٧٤ .

(٣) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ص٧٣ .

(٤) ديوان أبي القاسم ١٧٤ .

ولعل تلك الشوق الحار سببه الوحدة التي عبّر عنها بـ(الفؤاد الوحيد)، وكذلك(الغريب)، وتلك رموز المعاناة التي يلاقيها الشابي في حياته ، وإحساس الشاعر بغربته في بيئته التي عاش فيها ، ولعل هذا ما يفسر تصابي الشابي بعهد الطفولة والتغني بها؛ لكونه يعبر عن كل نفس تقع في مثل هذا الشعور بالحنين إلى الطفولة ، ورفض الواقع المليء بالمحن ، والمتضجر بالأحداث التي لا تروق لأحد ، فيلجأ إلى حنين الذكريات إلى الماضي وخاصة عهد الطفولة ، أيضا رؤية كل شيء جميل يدفعه لتذكر كل شيء جميل بعين الطفولة الحالمة الوديعة البريئة، فهذا ما يفسر بوضوح إكثار الشاعر لاستعمال معجم الطفولة في شعره .

فالشاعر في تلك الأبيات وما يحسه من وحدة فؤاده وغربته وما جدّ فيه من أمور متخيلة غاية في الجمال والسحر ، فهناك عوالم وأكوان تخلق في فؤاده ، وما ذاك إلا لأنها تنتظر قدوم الوجه الجميل، وتلك الأكوان تخلق من السحر، وحسنها من الجمال الفريد، وفاجأنا الشابي بتعبيره الساحر حيث وصف الشموس بالوضاءة وهو مناسب للأقمار والنجوم ، ولم يقل :[الشموس المتوهجة نهارًا ، والنجوم الوضاءة ليلًا]؛ لأنه خص هذا المشهد الساحر نهارًا حيث قال بعده : (ورياضٌ لا تعرف الحَلَك الدَّاجي) ، وليعلم السامع أن هذه الصورة متعلقة بخيال فؤاده الغريب الوحيد فقط ، تنتظر قدوم محبوبته فتنثر عليها الضياء و الأنوار معًا.

والتعبير الغريب أيضا ، وإلحاق الربيع بأحلامه هو للدلالة على تفتح الأفكار وتحققها وريعانها، كاهتزاز الشباب المنتشي السعيد بما حوله وبمن حوله، و الشابي يمتاز شعره بما له من صدق الشعور ورقة التصوير وعذوبة الألفاظ (خيال واسع ، وعين لاقطة، وذاكرة حافظة ؛ فلا يفوت الشاعر شيء

مما يرى أو يحس ، وإلى ذلك فمختبره الفني في غاية تكامله والدقة في أدائه، تختلط الصور فيه وتمتزج لتخرج منه في صيغة شعرية فنية فيها ما يروق النظر ، وما يمتع الأذن وما يرضي النفس والعقل) [١].

وتأمل تراسل الحواس [٢] العجيب في قوله: (وَطُيورٌ سِحْرِيَّةٌ تتناغَى بأناشيدَ حلوةِ التغريدِ) ، هذه الألحان تنزاح وتتبدل من كونها مدركة بالحس السمعي فتعلوا بجنسها الساحر الخلاب وترقى لجنس من أجناس المذوقات الشهية السمع وهو انزياح عن المألوف بتبادل المدركات الحسية بعضها ببعض، ويتجلى قيمته في (أن هذا التصوير يخرج عن دائرة المألوف بما يحمله من رقة الصورة وعذوبتها ورشاقتها التي توحي بها) [٣].

ولم يكن وصف الوليد يعني به الطفولة فحسب بل يعني أيضا كل ما يتجدد بالجمال وبالإطلالة الحسنة الساحرة في الحياة المتجددة ، وهو حشدٌ للصور له مغزى عميق لدى الشاعر بالاحساس بالجمالات المفرطة المسيطرة على داخله النفسي بقوة ، يقول الشابي [٤] :

وقصورٌ كأَنَّها الشَّفَقُ المخضُوبُ ** أو طلعةُ الصباحِ الوليدِ
وغيومٌ رقيقةٌ تَتَهادَى ** كأَباديدَ من نُثَارِ الورودِ

---

(١) أبو القاسم الشابي في شعره، ص١٥٦ .

(٢) تراسل الحواس : (وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات حاسة أخرى) الصورة الفنية في شعر عثمان الوصيف، الزهر فارس، ص١٩٤، ماجستير – جامعة قسطنطينة ،٢٠٠٥م.

(٣) تراسل الحواس وأثره في بناء الصورة الشعرية،د/ علي قاسم الخرابشة، ص١٤٢، مجلة العلوم الإنسانية ،العدد ٣٣، صيف ٢٠١٩م.

(٤) ديوان أبي القاسم ١٧٧ ، أباديد، يقال:(وطَيْرٌ أباديدُ وتَباديدُ : مُتَفَرِّقَةٌ).القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، ٢٧٤/١ ،فصل الباء(بدد)،ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وحياةٌ شعريَّةٌ هـــي عندي ** صورةٌ من حياةِ أهلِ الخلودِ
كلُّ هذا يشيدهُ سحرُ عينيكِ ** وإلهـــامُ حـــسْنكِ المعبودِ

هذا الشعور الرائق المتناغم الذي يضفي على النص جمـــال المشـــاعر التواقة في محراب الحبيب ، أحرى أن يكون من نفس مولعة بحـــب الجمـــال الآسر والطبيعة الساحرة الخلابة في عيون الحبيبة، والشابي (لم يقصد إلـــى وصف الطبيعة على أن وصفها مقصود لذاته ، ولكنـــه أراد أن يـــربط بـــين مظاهر الطبيعة والأحوال النفسية) [١]، ولبيئته الساحرة تأثير علـــى لمســـاته البديعة المصورة لجمال الطبيعة الأخاذ .

ولعل هذا الإحساس الفريد المحيط بالجمال الآسر، يمكن أن يقـــال: إن جملة ما يحسه الشابي ويتغنى به من عالمٍ مصحوب بـــرؤى نفيســـة تعكـــس عالمه النفسي وانفعالاته الوجدانية ، وللمشاهد منازع مـــن البيئـــة الأندلســـية الغناء، فالقصور الحمراء، وطلعة الصباح المنشق من كبد الليـــل، والغيـــوم المحملة التي تهجع بالأمطار ،تترنح كالورد المتناثر هنا وهناك ، والانتقـــال العجيب من بين معالم الطبيعة إلى معالمه الشعرية ، وحياته الغنـــاء الحافلـــة بالقوافي والموسيقى الراقية التي ينعم هو بها، وتصويرها بحياة أهل الخلـــود التي هم أيضا ينعمون بها . وما ذاك في النهاية إلا رسم تحظى بـــه عيـــون المحبوبة وتهمي بخط أفنانه ورسم معالمه ، وما هو إلا إلهـــام مـــن حســـنها المتعلق بالجمال الآسر الخلاب، إنها لقضايا عميقة من الـــدلالات المتشـــابكة والمتعانقة في معالم الحب والجمال الخلاب ، (والشابي يستعين في الوصـــف

(١) الشابي ، شاعر الحب والحياة، ص٢٩٤.

بقدرة خارقة على الإيحاء والتأثير على القارئ بحيث يضع أمام بصره في تعبير بسيط صورة لا نهاية لروعتها)[١].

٢- تصوير الكون بالطفل النائم :

في قصيدة (أيها الليل) يصور الشابي الكون مع اتساعه في جنبات الليل كطفل ناعس في عش عصفور صغير: [٢]

يهجع الكونُ، في طمأنينة العصـ*** فور طفلاً ، بصدركَ الغربيب
وبأحضانك الرحـــيمة يستيقظ *** في نضرة الضحوك الطروب
شاديا ، كالطـــيور بالأمل العذ*** ب، جميلا، كبهجة الشؤبوب

وهذا التصوير انزياح لبيان حجم الكون بالنسبة لليل ، وتحوّلٌ أيضًا من إدراك كوني إلى إدراك وجداني ملموس، ومع ما يحمل من مضـامين شـتّى مثل التنبيه على أن سعة الكون بالنسبة لليل لا تساوي شيئا أمام شمول الليـل وعظيم اتساعه، فالكون جزء من جملة أجزاء يعمها الليل ويحتويها ويضمها، والصورة مليئة بلوحة هادئة مكتملة العناصر والأشخاص والأحداث والألوان.

وهجوع الكون وسباته العميق في جنبات الليل من علامـات السـكون المتجددة المستمرة.

وفيه انزياح وعدول بالطمأنينة عن الأحداث المرعبة الـذي يصـورها الشعراء لليل المليئة بصور الخوف، فهـو هنـا مصـدر الـدفء والأمـان والسكون، لأرق مخلوق صغير ينعم في طمأنينة وسلام.

---

(١) الشابي ، شاعر الحب والحياة، ص٢٠٧.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،٨٧ ،غربيب: شديد السواد يجمع على غرابيب، ينظـر: لسـان العرب (غرب)،الشؤبوب: دفعات المطر النازلة، قال ابن منظور: (ولا يقال للمَطر شُؤْبُوبٌ إلا وفيه بَرَدٌ ويقال للجارية إنها لَحَسنة شآبيب الوجه وهو أول ما يَظْهَر من حُسْنِها في عـين النّاظر إليها) لسان العرب (شأب).

ولعله أيضًا من التجارب المضادة والصور المعكوسة ، فلربما يقصد الشابي أن الكون لا ملجأ له ، ولا سند غير الاختباء في العراء ، فهو معرضٌ للمآسي والطعنات التي لا يستطيع العصفور الضعيف في هذا الكون مهما بلغت قوته وبنيته أن يتصدى لها.

وفي قوله : (يهجع)عبّر بالفعل المضارع ، للتنبيه على تكرر واستمرار الحدوث لسكون الكون في حالةٍ من أحواله ،وموطن جمال الصيغة كما يقول عبد القاهر في موضوع الفعل : (على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء) (١).

وإثبات تلك الهيئة التي عليها الكون من السكون ليلا توحي بالوداعة والتسليم كيما يفعل الطفل حالا بعد حال، فهي من حسن البيان المهيئ للصورة التمثيلية الممزوجة بالصورة المجازية، يقول عبد القاهر في بيان قيمة الصور البيانية وانتقالاتها المؤثرة في النفوس: (الأُنس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر، ليس له سببٌ سوى زَوَال الشكّ والرَّيْب، فأما إذا رجعنا إلى التحقيق فإنَّا نعلم أن المشاهدة تُؤثِّر في النفوس مع العلم بصدق الخبر، كما أخبر اللّه –تعالى– عن إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– في قوله: "قَالَ بَلَى ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي". [سورة البقرة: ٦٢].) (٢).

ويتجلى جمال الصور المتتابعة في تشخيص الكون على هيئة النائم المستسلم ، والمصور بالطفل النائم الحالم الوديع، الذي لا حول له ولا قوة ، وليست الصورة تستلزم الإيحاء بالضعف في جانب الكون بقدر ما تحمل من معانٍ عميقة عنوانها الوداعة والخضوع والاستسلام لهيمنة الليل والالتصاق

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٧٤ .

(٢) أسرار البلاغة ، ص ١٢٥، وما بعدها .

الآمن ، الأمر الذي يذكرنا بهيمنة الليل ذاته في شعر النابغة الذبياني ، لكن – بطريقة أخرى –أجواءها الخوف والرعب لا الرغبة والسكون، تراه يقول[١]:

فإنّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْرِكي، *** وإنْ خِلْتُ أنّ المُنتأى عنك واسِعُ

وهذا تعبير من النابغة مخيف ، ودقيق جدا، يعتبر من التعبيرات المبتكرة، التي تجسد هيمنة الليل وغلبته وإحاطته بجميع الأشياء التي لا مناص من الإفلات منها على الإطلاق، فكيف بالنابغة وقد عمّه سطوة النعمان وقهره وبشطه وغلبة نفوذه ، مع الفارق بين الصورتين من حيث الجانب النفسي والبعد الزمني، وإن كانتا تجريان مجرى واحد ، فالأولى تنعم بالسكون والهدوء ، والأخرى تعج بالحركة والمطاردة المحكمة الثابتة الباعثة على عدم الاستقرار.

٣- تصوير الغاب بالطفل اللاعب العذب:

في قصيدة :[من أغاني الرعاة] ، يقف الشابي وقفة عند لوحة من لوحات الطبيعة في عالم الرعي يستطرد من خلالها مقارنة بين زمانين:زمان الغاب، وزمان الناس، يقول الشابي :[٢]

لن تملّي يا خرافي في حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب، عذب جميل
وزمان الناس شيخ ، عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال ، فوق هاتيك السهول

يخاطب الشابي خراف المراعي في تلك الغاب ويعد هذا انزياحا وعدولا من خطاب من لا يعقل لمن يحسن منه العقل والإدراك ؛ للدلالة على ما

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص٣٨، ط/ دار المعارف ،ط٢،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٠٦ .

يرسخه من إدراك لحياة آمنة، بعيدة عن هوى الناس بالنسبة لعالم الخراف البريئة التي تكلأ في مراعيها الخصبة تحت ظلال الغاب الملتفة ،على الرغم من امتلاء حياة الخراف من مخاطر مستمرة على الدوام؛ إلا أنه عدل عن تلك الحقائق ؛ ليرسخ أمرا آخر جرى على مشاعره مستوقفا صورة من تلك الصورة التي ترتع فيها الخراف الشاردة، ولكي يشعرها بالأمان في ظلالها المعشبة الكثيفة ، وتلك الإحاطة وذلكم الشعور بالأمان يوحي بصور من الطمأنينة في ظل هذه السياج الآمنة من أغصان الغاب المحيطة.

وعبّر بنفي الملل في قوله : (لا تملّي يا خراف) لتعلق أسباب الأمان بهذا المكان الملتف الكثيف ، قليل المخاطر.وأضاف الخراف لنفسه إضافة ملك واعتناء ، وانزياح بمعاني الحماية والآمان لها، فالأمر يتعلق بذات الشابي ومشاعره . والشابي ما زال يكرر عوالم الطفولة، ويجعلها هنا ثلاثة محاور:

١- اللعب ٢- والعذوبة ٣- والجمال.

وما تحويه من صور ومشاهد بريئة تشعر بدفء المكان وأمانه وعذوبته وجماله. وهو انتقال من عالم الغاب لعالم الطفولة لبيان مقدار الأمن والدفء والبراءة تحررا في الهواء الطلق البعيد عن الأسر والتقييد والسيطرة، فهي تفعل ما يحلو لها كما تشاء ، لعل هذا ما يريد إثباته من خلال الجو النفسي لتلك المقاربة العجيبة التي عمادها التشبيه المجمل ، والشابي في صوره يحكي قطعًا فنية باهرة (وفي صوره – إلى ذلك – دقة الملاحظة ، ورهافة حس ، وحسن ابتكار ، وسهولة مأخذ ، وبساطة أداء في تناغم متكامل بين الموضوع واللفظ والشخصيات) [١] .

(١) أبو القاسم الشابي في شعره، ص١٥٧.

وتأتي المقابلة بين أربعة في قوله : (فزمان الغاب طفل لاعب عــذب جميل،وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل) :

زمان الغاب = مقابل زمان الناس

والطفل = مقابل الشيخ

لاعب = مقابل عابس الوجه

وجميل = مقابل ثقيل.

وتعد المقابلات استشهادا ثريًا للرؤى والأفكار التي يريد كل من المبدع أو الشاعر تأسيسها ؛ لكي تثبت في الأذهان . وهي مــن التراكيــب البديعــة الخصبة والرحبة لنقل الفروق بين الصور المترادفة أو المضادة ، (وللشــابي مقدرة جبارة غريبة على تنسيق الكلام وتأليفه حتى يصير موسيقى لا نهائية تنبو عن القواعد كما هي نشأت عن غير مفروض البلاغة)[١].

والمراد بالزمان : الوقت ، ويعنى به تعهد الأشياء والتزامها ورعايتهــا والقيام عليها ، فقوانين الغاب تكفل الحرية التامة والأمان اللازم للخراف فــي سهولة الحركة والتنقل الآمن من جميع المخاطر، والمرح واللهو دون تعنــت أو حبس أو إرهاق أو ملال كرعاية الطفل تماما بتمام، فلم يتدخل في مراعيها تحكم الناس وقوانينهم الصاخبة .

وكذلك قوانين الناس وتحكمهم في الأمور يبدوا واضحا جليــا بتبــاطؤ الحركة والتعقيد والصخب والتزمت وعبوس الوجه والثقل والملال والعجز ، ويعد هذا انزياحا بتشبيه الحالتين التي بينهما نفور ومقابلة .

(١) الشابي، شاعر الحب والحياة ،ص ٢٠٧.

٤-تصوير الشاعر بالطفل اللاهي يتعقب الألوان:

يرى الشابي الطفولة مرحلة عابثة لم تتقيد بأحداث ، ولم تكترث للأحزان ، ففي قصيدة [الاعتراف] ، يعترف الشابي بندمه الشديد حين ألهته الحياة وجعلته كالطفل العابث الذي انخرط فيها، و لم يحزن لفقد والده يوما ، ولم يكن مستعدا لما كان مقدر له من أقدار جسام،يقول [١]:

ما كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتَك يا أبي ** ومشاعري عمياء بالأحزانِ
أني سأظمأُ للحياةِ ، وأحتسي ** مِنْ نهْرها المتوهِّجِ النّشوانِ
وأعودُ للدُّنيا بقلبٍ خَافقٍ ** للحبِّ ، والأفراحِ ، والألحانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُوَرِالمنى ** وغرائبِ الأهْواء والأشجانِ
حتى تحرّكتِ السّنون، وأقبلتْ ** فتنُ الحياةِ بسِحرِها الفنَّانِ
فإذا أنا ما زلتُ طفلاً، مُولَعاً ** بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ
وإذا التشأومُ بالحياةِ ورفضُها ** ضرْبٌ من البُهتانِ والهذيانِ
إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نفسِهِ ** عبدُ الحياةِ الصَّادقُ الإيمانَ

يقرر الشابي في تلك القصيدة أمرا لا بأس به في أطوار الطفولة التي هي لغز الحياة ، وذلك باقتناص موقف من مواقف حياة الإنسان الثابتة بعد الأحزان وأشدها بعد فقد الأب ، وهو عدم الاكتراث بعد هذه الفجيعة في الحياة الثابتة التي تلقفت الطفولة بين غررها و أحضانها وملهياتها وشهواتها مهما توالت الأحزان ؛ فستعود للدنيا بقلب الطفولة اللاهي بقلب خافق للحب والأفراح والألحان .

ولا يصرف قلب الطفولة المعنى الأسمى للحياة، وهي الشعور بالدفء والحنان والأمان بين أكناف الأب غير تصوير الطفل بتعقب أمر تافه لا يعدو

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ص ٢٣٦ .

تعقب الأضواء اللامعة و الألوان اللافتة ، وهذا يعد انزياحا مثمرا لنفس الشابي المتقلبة و انفعالاته المتغيرة التي سرعان ما تتراجع إلى الوراء ، حيث الذكرى اللامعة في عينيه، تحيا بحياة الطفولة اللاهية الضعيفة ، تراه يقول:

ما كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتَك يا أبي ** ومشاعري عمياء بالأحزانِ
أني سأظمأُ للحيـــاةِ، وأحتسي ** مِنْ نهْرها المتوهِّجِ النّشوانِ
وأعودُ للدُّنيا بقلـــبٍ خَافـــقٍ ** للحبِّ ، والأفراحِ ، والألحانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُوَرِالمنى ** وغرائبِ الأهْواء والأشجانِ

هذا ما أحدثه خطاب الأب الذي فجّر بحر الذكريات الرقيقة ، والانفعالات الهائجة ، واجتياح الضعف والانكسار ، والشعور بالتيه والحسرة من بعد موته.

والمشاعر لا بد أن تبصر وتترجم بأمر من الأمور،لكنه خالف فساق تعبيرا غريبا أشد غرابة: وهو أن تعمى إنسان مشاعره بالأحزان، وهو كناية عن استحكام الحزن الضال التائه المستقر ، انتقالا من جارحته ، واستقرارا إلى فؤاده، وذلكم جارحة من جوارحه المنزاحة تتراسلها المشاعر لا العيون .

فقوله : (ومشاعري عمياء) انزياح بانتقال العمى للمشاعر لا العيون ؛ لأنها تحمل دلالة بتبادل الوظائف في هذا الحدث الجلل؛ لتشخيص المشاعر ونبضها بإبصار الجوارح وانطفائها.

وتكميل البيان بقوله : (بالأحزان) [١] ؛ إشارة لأسباب انطفاء المشاعر، وإبعاد ما يتوقع من أسباب غير محتملة.

---

(١) التكميل: (هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه). الإيضاح في علوم البلاغة،١/٢٠٣.

وفي قوله: (أني سأظمأُ للحياةِ) وكذلك: (وأحتسي مِنْ نهْرها المتوهِّجِ النّشوانِ) انزياح بتجسيد الحياة بعصب الحياة الصافي وهو الماء ، ويقصد بالحياة الحنين في كنف أبيه ؛ لبيان احتياجه الشديد ، والاحتساء المعبر عن رغبته الشديدة في التمتع بأسباب الحياة الباعثة على التواصل وإحراز التقدم في هذا الكون.

وعنوان الظمأ لحياة الشوق والحنين إلى دفء الأب وأمنه وأمانه ، وافتراض أن الحياة معطلة بعد موت الأب وأنها ستتوقف، وأنه ظن أن لا حياة بعده، وأنه سيعود للحياة وأن الحياة ستعود إليه ، ويخفق قلبه مرة أخرى، ويتبادل الفرح والمرح ، وأنه سيعود لكل صور المنى وغرائب الدنيا وملذاتها وأشجانها.

وتكاتف الصور البديعة المزدانة بمراعاة النظير بين : (الحبِّ ، والأفراحِ ، والألحانِ)، وتقديم الحب وإن كانت الأفراح مسببة له ، وكذلك الألحان من تقديم العام على الخاص .

والطباق بين : (الأهواء والأشجان): طباق إيجاب؛ للتمييز بين الصورتين المتقابلتين في ذهن المتلقي ، وإدراك ذلك بوضوح .

وكذلك مراعاة النظير بين (الحياة ، والدنيا)؛ للدلالة على استجماعه ما يبعث على التفاؤل والتقدم والعيش.

وهنا سؤال مؤداه : لماذا عبّر الشابي بالحياة في أول الأبيات ، ثم عبّر بالدنيا بعدها، فهل هذا من قبيل المغايرة ؟

ورد في الفروق اللغوية أن الدنيا صفة [١]، ومعلوم أن الحياة –وتوصف بالدنيا ، وتوصف بالآخرة، وتوصف بأشياء أخرى–: حياة سعيدة ،حياة بائسة، الحياة الدنيا، والحياة الأخروية، قال تعالى: " أُولَئِكَ الَّذين اشْتَروا الْحَيَاة الدُّنْيَا بِالآخِرَة" .[البقرة:٨٦].

والحياة أعم من الدنيا ، ولعله يقصد بعد موت أبيه أنه توقف كل شيء وأنه قد هجر أسباب الحياة الدنيا، حتى أمل للرجوع إليها مرة أخرى ، وهذا ملمح دقيق من الشابي.

حتى تحرّكتِ السّنون ، وأقبلتْ ** فتنُ الحياةِ بسِحرِها الفنَّانِ

فكانت تلك اللحظة هي الفارقة في حياته– وهي فقدان عزيز وأيّ عزيز– ويعد إيمان الشابي جسرا لتفادي هذه المحن والفتن السائدة في الكون، فلا بد أن يعي الإنسان درس الحياة الأليم أن لكل حياة موقف ، ولكل موقف نهاية .

والتجانس اللفظي بين (فتن ، والفنان) لإحداث النغم الصوتي وتزكية المقارنة بين الحالين.

والمؤمل لمواجهة هذا التغيير الزمني المبرم ، حتمية التقبل ، والرضا بالقدر الثابت، فهي نهاية مشعرة بحتمية الأقدار ، والتي لخصتها (حتى) الغائية [٢] التي انتهت عندها كل شيء.

فإذا أنا ما زلتُ طفْلاً ، مُولَعاً ** بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ

وإذا التشأوُمُ بالحياةِ ورفضُها ** ضرْبٌ من الُبهتانِ والهذيانِ

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،ص ٢٣٦،ط/ مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١، ١٤١٢هـ. تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي.

(٢) ينظر: الجنى الداني ، ٥٤٢ .

إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نفسِهِ ** عبدُ الحياةِ الصَّادقُ الإيمانَ

لعل هناك مسارح مضمرة من الأفكار التي تجيش بخيال الشابي، حتى تراجعت به روائح الذكرى والأفكار حيث الطفولة ، فهو أمام خطاب الأب المفقود ما زال طفلا ، حيث يتوقع هذا المشهد أنه هو القائل تحديدا بطريق الاختصاص(أنا)؛ لا غيره ،الذي لا يزال طفلا ماذا عليه من عبء الحياة غير تلك الصورة المحفورة في الأذهان : (مُولَعاً بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ) يسير خلف المغريات إن لم يعنِ التفاهات، وما هي بذلك في فكره ، بل يعني مشهدا مليئا بالمرح والسرور واللهو واللعب، متعقبا مظهرا من مظاهر الطفولة الحالم ، متجنبا المسئولية في الحياة الدنيا والتي بان أنه قد فرّط فيها ، والتي حملت على عاتق أبيه الذي لم يعُد يتحملها بعد الآن.

ولعل الأضواء والألوان رمزان للحياة اللاهية التي تنسي صاحبها وتجعله ينغمس في الشهوات والملذات، أو هي قريبة من التفاؤل حتى يقابل الصورة الفجائية بعدها المصدرة بالتشاؤم؛ ليحسن التقابل في تتابع بديع ، فإن الحياة تتفلت من حالٍ إلى حالٍ.

ولعل تنكير كلمة :(طفلًا) انزياح مستصغر لقوى الشاعر بعد الفراق ؛ دلالة على التضاؤل في محراب المسئولية، والتهميش لجديّة الحياة الشاقة .

وقول الشابي:

إنَّ ابنَ آدمَ –في قرارةِ نفسِهِ– ** عبدُ الحياةِ الصَّادقُ الإيمانَ

يعد محيرا ؛ لأنه بعد تلك المعطيات السابقة من المعاناة من فقدان الأب، وإشباع الطفل بالتفاؤل ورغبة الإقبال على الحياة مع وجود التشاؤم في كل سبيل والذي أتى عليه وهدمه وجعله كيانا زائفا، بعد كل هذا يقرر أمرا مناهضًا للأحداث العظيمة في الحياة وهو تقبل المرء له شاء أم أبى.

هل يقرر الشابي ختاما انصهار القضية وتلاشيها فلا أب يرعى ، ولا طفل يسعى، ولا تشاؤم يحلق، فعلى الإنسان أن لا يرضخ لذل الحياة بل يواجه ويقاوم، لا بقوته ، ولكن بصدق إيمانه؟ أم عليه أن يسلم لما هو منساقٌ له وهو الحياة الراغمة التي تجلبه قهرا وسيطرة ؟

تأكيد الخبر بأن له دلالة على أن المخاطب لم يكن يجهل مضمون الخبر ، بل حاله يطلب منه تأكيده بمؤكد، والأمر ليس كذلك ، فهو من سبيل الأخبار التي يجهلها المخاطب، لأن ما عليه ابن آدم ليس كذلك ، فهو عبدٌ لله لا للحياة، ينبغي أن يكون هذا هو المعلوم الذي لا ينكره أحد ، لكن لما غلب على تلك الحياة من الأحداث الجسام وخضوع الإنسان لها واعتيادهم لهذا ؛عدل عن الواقع بهذا الأمر تجاوزا وانزياحا، فنزل الجاهل بهذا الأمر منزلة الشاك المتردد، يقول عبد القاهر : (ولذلك تَراها تزدادُ حُسْناً إذا كان الخبرُ بأمرٍ يَبْعُدُ مثْلُه في الظنِّ، وبشيءٍ قد جرتْ عادةُ الناسِ بخلافِهِ) (١).

وجملة : (في قرارة نفسه) معترضة ، وهي احتراس أيضًا؛ لبيان توطيد هذا الأمر المستغرب واعتياده في النفس بدلائل الحال المشاهدة في واقع الحياة المرير ، لا على سبيل الإيمان الحقيقي.

٥- تصوير عوالم الشعر بعوالم الطفولة:

وفي نموذج متدفق بالمشاعر والأحاسيس الرقيقة يخاطب الشابي (الشعر) في قصيدة : (قلت للشعر)، ويفصح عن تعلقه به وحبه له ، وتغنيه بعوالمه التي تعد مشابهة ومتحدة في تكوينها بعوالم الجمال الكثيرة وما يقابلها من معانٍ، والتي منها عوالم الطفولة ، يقول الشابي (٢):

---

(١) دلائل الإعجاز،ص ٣٢٥ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٣٤ .

أنتَ يا شعرُ ، فلذةٌ من فؤادي ** تتغنَّى ، وقطعةُ من وجودي

يستهل الشابي بخطاب (الشعر) ويجعل منه شخصا يحسن منه الخطاب، انزياحا للمقصود من الخطب ، وبيان قدره عنده، وكمال عنايته به ، والشعر لم يكن مجرد شخصا يحسن منه الخطاب عند اللقاء بل جعله قطعة من فؤاده، تستمر في الألحان ، وتتجدد بالغناء العذب، أضاف إلى هذا الانزياح أيضا عدولا آخر بأن الشعر قطعة من تكوينه ووجوده.

وأعاد الشابي خطابه (للشعر) بعد هذه الأبيات مرة أخرى، بصور غاية في القوة ، يملؤها انزياحات ثرية متنوعة ومتعددة ، فهو قصة حياته الواقعية، وصورة من وجوده، التي تلاقي ما يلاقيه من رفض وقبول ، وهو صورة من فرحته، إن تحقق له فهو وأغاريده، وصورة من كآبته إن تحقق فهي عوده، وهو كأسه المملوءة بالشراب التي يترنح بها ناسيا كل ما يلاقيه من أسىً وأحزان، ومواقف صعاب، تراه يقول [1]:

أنت يا شعرُ – قصةٌ عن حَياتي ** أنت يا شعرُ صورةٌ من وجودي
أنت يا شعر–إن فرحتُ–أغاريدي ** وإن غنَّت الكآبة – عودي
أنت يا شعرُ كأسُ خمرٍ عجيبٍ ** أتلَّهى به خلال اللحودِ
أتحسَّاهُ في الصَّباحِ، لأنسى ** ما تقضَّى في أمسيَ المفقودِ

هذا التكرار الذي بثّه الشاعر في جميع أرجاء القصيدة الذي يعد صورة من صور الإطناب المؤكد للمعاني ، ضاعف طاقة النص الإيحائية بالتأكيد وتقوية الخطاب وترابطه فيما وقع لعالم الشاعر أو عالم الأشياء من اتفاق بينها وبينه من ناحية وبين الشعر من ناحية أخرى ، فالتكرار يمثل(عنصرا

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٣٥ .

جوهريا حاسما في الصياغة الشعرية) [١]، ولـه مـن الـدلالات الموسـيقية والإيحائية المؤثرة على السامع.

واستطاع الشابي أن يصور الشعر بمواقف متعددة مليئـة بإنزياحـات عميقة متقابلة متكررة ، تراه يقول[٢]:

فيكَ مَا في جوانحي مِنْ حَنـينٍ ** أبديٍّ إلى صَمَـيم الوجودِ
فيكَ مَا في خواطري من بكـاءٍ ** فيك ما في عواطفي مِنْ نَشيدِ
فيكَ ما في مَشَاعري مِنْ وُجومٍ ** لا يغنِّي ، ومن سـرور عهيدِ
فيكَ ما في عَوَالمي مِنْ ظـلامٍ ** سرمديّ، ومن صبـاحٍ وليدِ
فيكَ ما في عَوَالمي من نجـومٍ ** ضـاحكاتٍ خلـف الغمـام
فيكَ ما في عَوَالمي من ضَبَابِ ** وسـراب، ويقظـة، وهجودِ

وتكرار الجملة الخبرية : (فيك ما في...) للدلالة على الاختصـاص، وتوحي لدى النفس المتخيلة من العظمة لاتحاد السبب، حيث يعـد التكـرار (وسيلة بلاغية ذات قيم أسلوبية مختلفة) [٣].

وهذا الخطاب المتكرر أيضًا يمثل لوحات مرسومة تعد فضاءات ثريـة متوالية ، تتناسب مع الحالة النفسية للشابي مـن حيـث التواصـل الفكـري والوجودي لعالم الشعر المتجسد بهذا الطابع الخاص المتراص ، ويصور بعدا تلازميا له أثر إيجابي كبير في تلقي الخطاب [٤]، كما يشكل تلازما صـوتيا للسامع يتلقفه بذات الموسيقى المتكررة التي تحمل رسالة أو رمـزًا معبـرا ،

(١) إنتاج الدلالة، صلاح فضل، ص٢٦١، ط/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٨٧م .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٣٤ .
(٣) اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، ص١٢٨ ، ط/ دار المعرفة ،ط٢، ٢٠٠٧م.
(٤) ينظر: أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة دراسة تطبيقية، د/ عبد الحميد هنداوي، ١٠٧.

ومن مميزات الشابي وخصائص أسلوبه: (تناول الموضوع من جميع أطرافه بجميع ظلاله ما أمكن إلى حد التكرار الممل) [1]، وهو ليس كذلك بل تكرار معبر مقصود لذاته لأجل التنبيه على الشيء المكرر ، والعناية به ، واستيفاءً له واستقصاءً، وأيضًا شحذ ذهن المتلقي نحوه لما له من تأثير في السمع بحسن الوقع في النفس ، والجرس في السمع.

ويعد هذا الانتقال المرتكز على التكرار المحلى بالتقديم الذي يفيد الاختصاص في كل موضع صورة كاشفة عن وعي الشابي للشعر، ويمثل الأفكار المتزاحمة التي يطلقها الشابي من جمل متوازية تتابع وتتراص نحو الأفكار ، للتأمل في حقائق الشعر الذي تلبث به الشابي وانعقدت أفكاره بخواطره.

ففي الشعر يجد الشابي فيه شبها وانزياحا يحدو به إنسانا يحمل في طياته ما يحمل الشاعر من حنينٍ وذكريات الماضي الأبدية .

كذلك يجد في الشعر ما يجد في نفسه من خواطر حزينة باكية، وعواطف وإحساسات جميلة ، فهو ينزاح بالشيء وضده ؛ ليكسب الشعر مجال من ينبض بالحسّ، لا من يحمل الحسّ مجردا.

أيضًا يسطر الشابي في التدرج الانزياحي مثالا آخر للشعر يجد فيها شبها لما يعانيه من عوالم حالكة السواد ، وعوالم أخرى مطابقة لها ، ومقابلة لعوالمها بالصباح المتجدد.

أيضًا يجد فيه ما يعتري عوالمه من عتمة وسراب وتيه ، وما يقابلها من يقظة وسبات.

---

(١) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ص٢٠١ .

وهذا التنقل بين العوالم والمواقف والشعور يوحي بمقاربة العلاقة بين الشعر والشاعر واتحادها على تنوعها واختلافها، كما يبرز حالته النفسية الواضحة وانفعالاته المتعاقبة للمتلقي.

ويأتي الشاهد في تلك الأبيات من بين تلك المقاربات العجيبة، يقول الشابي [١]:

فيكَ ما في طفولتي مِنْ سلامٍ ، ** وابتسامٍ ، وغبطةٍ ، وَسُعودِ

تجد عوالم الشعر مقاربة لعوالم الطفولة عند الشاعر ، وهذا التمثيل يعد انزياحا متدرجا ويقع بين نظائر أربعة :

١- السلام ،٢- الابتسام ، ٣- الغبطة ، ٤- السعود

وفي تقديم (السلام) على الثلاثة الأخر انزياح وعدول يدل على تعلق تلك العوالم وارتباطها به ، فإذا تحقق السلام في عالم الطفولة كفل لها الثلاثة عوالم التابعة له تباعًا.

وفي المقابل ، جلب الصورة التي تطابق مسارح الطفولة وعوالمها بطريقة فريدة، وهي الشيب[٢]:

فيكَ ما في شبيتي من حنينٍ ، ** وشجون ، وبهجة ، وجمودِ

لم يكن الشاعر ذا شبيبة ، لكنها من واقعه الافتراضي الذي يعد انزياحا وعدولا عن الواقع ليعبر عن تجانس شعره لعوالمه المتعددة الواقع منها والمفترض، لأنه لا يمثل نفسه بل يمثل مجتمعه بما فيه من أجناس مختلفة.

استطاع الشابي بهذه الوسيلة من التكرار أن يبسط الجوانب الإيجابية التي عدّها واحدة واحدة في تلاقيه الوظيفي المتحد مع الشعر، حيث استطاع

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٣٤ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٣٤ .

أن يبرز الجوانب المتعددة التي تعلقت بها نفس الشابي وشعر بها ، ومن ثم سلط الأفكار عليها في انزياح دقيق مفصل، (فالتكرار أحد الأضواء التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها) [١].

وترى الحنين والشجن ذكريات مؤلمة ، وكذلك الجمود يعد انزياحا بالعجز ووقف النمو والحركة ، لكن المحيّر هو توسط البهجة هذه الذكريات المتغيرة ، ولعله يقصد عالما من عوالم الشبيبة التي تمتاز بالخبرة والحنكة المصاحبة للبهجة التي تتخلل تلك الذكريات ، أو يقصد ما ينبع من النسيان الذي يجلب البهجة التي تدفع إلى التسليم بالأمور الواقعية التي عاشها وخالطها و خامر ذكرياتها .

٦- تصوير المعاني حول الشاعر بأطفال الخلود:

وفي القصيدة التي تليها مباشرة من الديوان : [قلب الشاعر] يتحدث الشابي عن معان زاخرة بالحياة المتقلبة متنوعة المجالات والميادين والأجناس ،التي يلامسها كل إنسان في الطبيعة من حياة وسكون ، وهي متمثلة في قلبه تحيا حياة الأطفال الخالدين ،يقول[٢]:

كلُّ ما هبَّ ، وما دبَّ ، وما ** نامَ ، أو حامَ على هذا الوجود
مِنْ طيورٍ ، وَزُهورٍ، وشذًى ** وينابيعَ . وأغصانٍ تَميدْ
وبحارٍ ، وكهوفٍ ، وذُرىً ** وبراكينَ ، ووديانٍ ، وبيدْ
وضياءٍ، وظِلالٍ ودجى، ** وفصولٍ ، وغيولٍ ، ورعودْ
وثلوجٍ ، وضباب عابرٍ، ** وأعاصيرَ وأمطارٍ تجودْ
وتعاليمَ، وَدِينٍ، ورؤى ** وأحاسيسَ ، وَصَمْتٍ ، ونشيدْ

(١) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة،ص٤٣، ط/ دار العلم للملايين، ط١ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٣٧ .

كلُّها تحيْا ، بقلبي حرَّةً ** غَضةَ السّحر، كأطفال الخلودْ

وهذا التمثيل يعد انزاحا وعدولا متدفقا بالمعاني الثابتة والمتقلبة لقلب الشاعر في تلك الحياة المليئة بالأحداث المتنوعة، وأطفال الخلود وحولهم دون تقييد أو محاسبة أو معاقبة، حيث تتوارد الخواطر وتتدفق كيفما اتفق للأطفال من سهولة الحركة واعتيادها وعفويتها، والتي تعد حضورا سريعا وانخراطا حرفيا لسرعة الاستجابة لما يحسه من مشاعر تجاهها، و لكل ما يحدث في الحياة من معان وأمور متقلبة حوله.

وأهم ما يميز الشابي كثرة المرادفات التي تشكل فنا بديعا بمراعاة النظير ؛ لتصوير المشاهد الحية من واقع ما يحسه الشابي ويشعر به من ذات نفسه تجاه الأشياء.

وجملة: (تحيا بقلبي) انزياح وعدول عما تجده النفس من قبول واستساغة لما حولها من صور ومشاهد جميلة رائعة ، وتجسيد دقيق لجميع مفاتن الحياة وألوانها التي يتلقفها القلب رضا وسرورا وإعجابا وسعادة ، وأن أفضل من يمثل هذه الحياة ما تلاقيها أطفال الخلود الذين كُتب لهم البقاء، فطعموا الحياة بميزان السعادة البريء الذي لا يتغيّر ولا يهرم. ولعل الشابي كتب هذه الصورة وهذا المشهد المتميز فوق أرجوحة الطفولة الوديعة الحالمة.

٧- تصوير مشية الشاعر في الغاب متهيبا بالطفل:

وفي قصيدة : [الغاب]، يستكشف الشابي رحلته إلى الغاب بأطوار متعددة منها قلب الطفل المتهيب الذي يغامر مكانا غريبا موحشا يدخله أول مرة ، يقول[١] :

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ٢٤٠ .

في الغاب، دنيا للخيال، وللرُّؤى، ** والشِّـــعرِ ، والتفكيرِ ، والأحلامِ
لله يومَ مضـــيتُ أوّلَ مـــــــرّةٍ ** للغابِ ، أرزحُ تحت عبءِ سَقامي
ودخَلتُه وحدي ، وحوْلي موكبٌ ** هَـــزِجٌ ، من الأحـــــلامِ والأوهامِ
ومشيْتُ تحت ظِـــــلاله مُتَهَيِّباً ** كالطفل ، في صمتٍ ، وفي استسلامِ

تتوارد الأفكار والرؤى والخواطر في هذه البنيـــة التركيبيـــة العجيبـــة للتمثيل البليغ ، حيث يصور حال مشيته تحت ظلال الغاب المعشب في وداعة واستسلام بمشية الطفل .

وتشبيه حالته وقت دخوله الغاب وتوصيفها بالمتهيب وتشبيه حالته هذه بالطفل المستسلم للمناظر الخلابة والمواقف والصور والمشاهد المتعددة انزياح وعدول بنقل شعور الطفل المستسلم إلى نفسه وشعوره المتهيب لأرجاء الغاب الذي يستطلع جوانبه وأحواله وأدواته وأركانه.

وهذا تصوير ممتع لبيان الحالة التي عليها الشـــاعر مـــن استصـــحاب الوداعة والبراءة والتملي بالمكان والانبهار به.

وهذا النقل البياني العجيب يلتقط فيه الشابي المناسبة النفسية بين صورة تجواله للغابة ، وصورة الطفل لتجول ما يطالعه لأول مرة منبهـــرا. ولـــيس المراد بالتهيّب الخوف منه بل استعظامه والإعجاب فيه كما يتجوله الطفل بما ينتابه من الصمت والعجز والاستسلام .

٨- تصوير القلب الحزين بالطفل:

في قصيدة: [صفحة من كتاب الدموع] التي تعتد أحجية من الأحاجي الغامضة التي عنون لها هذا العنوان، ولم تدر عن أي شيء يتحدث في هذه القصيدة القصيرة متوالية المشاهد من الطبيعة، ولعلها تحكي حبًا عظيما لم يكتمل إلى نهايته ؛ لذا ندبه المحبون بصفحة من كتاب الدموع التي ينزاح فيها الهمّ الداخلي والذي نجح الشابي في توليف عدة محاور متراصة من الأحداث المتلاحقة، غير المترابطة والتي لا يبدو لها علاقة ظاهرة ، أو أن لها علاقة فيما بينها ، لكنها غامضة ، وصاحب هذا الحب الذي خلف كتابا مليئا بتلك الصفحات المنهمرة بالدموع ، له قلب بريء كالطفل : يقول الشابي[١]:

قَدْ كان له قلبٌ، كالطِّفْلِ ** يدُ الأحلامِ تُهَدْهِدُهُ

ترى ما المقاربة بين ذكرى من ذكريات كتاب الدموع ، وبين الطفل الذي تهدهده الأيادي ؟

لعل الحال مشاهد من محاولات الأيادي بتهدئة الطفل وتسكيته مرة بعد مرة بتلطف ، و محاولة إزاحة أسباب تشتت الطفل بشتى المحاولات.

وهنا صورتان متداخلتان متواليتان ، تشخيص كتاب الدموع والذكريات بأن له قلب محاكي لقلب الإنسان يتعتريه الخوف والاضطراب وجميع المشاعر الحزينة والأليمة ، وهذا القلب حاله كحال الطفل الذي تعبث الأيادي به ومحاولة ملاطفته وتسليته باستمرار .

ويتجلى الجمال بمقابلة المستقبل بالماضي في الصورتين، فالكتاب كان له قلب، بما يحمل من آلام الذكريات ، لا جليس ولا أنيس غير القارئ الذي لا يستطيع تغير حدث من أحداثه، أما الطفل فهناك محاولات مستمرة متجددة

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٥٥ .

عرفت بدلالة: (تهدهده)، تفوق محاولات مواجهة كتاب الدموع ؛ إلا ما كان يصدر من القارئ من تأثير انفلات الدموع العفوية التي لا يملك كفكفتها ، ولعله يحاول صفحة بعد صفحة فلا يتماسك ، ليدل على انزياح للنفس المعذبة التي لا تتماسك من تأثير دموع الكتاب .

وينبثق من تلك الصورتين صورة أخرى مناسبة حيث جعل للأحلام (يدًا) ليحسن منها ملاطفة الطفل، والصورة انزياح يمتاز بالقدرة والاستئناس الذي يفقده كتاب الدموع التي يتعاطف معه كل قارئ.

ويأتي إيقاع الكلمة : (تُهَدْهِدُهُ) ؛ ليصور لنا التعانق اللفظي مع التعانق الصوتي والإيقاعي الناشئ عن تكرار المقطع الصوتي للكلمة (هد،هد) تضافرا للكشف عن خصائص الأسلوب وطبائع التعبير والصياغة [1] وفق ما تترجمه حالة الشاعر النفسية وانفعالاته كما تصورها له.

وهذا التصوير يعبر عن براءة الطفل ، وطهارته من كل الأشياء الصادمة التي عليها بعض بني البشر العقلاء.

وامتدت الصورة بالعطاء عند قوله: (يدُ الأحلامِ تُهَدْهِدُهُ) الذي أسهم في تشكيل القلب في رقته ولينه ووداعته ، وصياغة الفعل بالبناء في حال الاستقبال للدلالة على تجدد الوداعة والبراعة واستمرارها في ذلك القلب الوديع البريء.

---

(١) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فصل، ص٤٧٢، ط/ دار الأفاق العربية- القاهرة ، ١٩٩٦م،نقلا من :التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث، د/ محمد الأمين شيخه، ص١٤٢، رسالة دكتوراه جامعة محمد خيضر-بسكرة - الجزائر ٢٠٠٩م.

٩- تصوير لهو الشاعر مع الأحبة في الغاب بطفلين:

وفي قصيدة :[ألحاني السكرى] في بداية القصيدة يكتفي الشابي بالحبّ عن السكر، ويطلب النشوى من الطبيعة والألحان بديلا عن الخمر السكر، ثم يسرد جانبا من جوانب الطهر الذي يشعر فيه بالانتشاء النقي ، ويلحقه بلهو الطفولة، يقول الشابي(١):

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفلينِ** سعيدين ، في غُرورِ الطُّفولة

وعلى الصخرةِ الجميلةِ في الوادي ** وبين المخاوفِ المجْهولَهْ

في تقديم ضمير المتكلمين (نحن) لإفادة الاختصاص ، ولقد تكرر هذا الابتداء سبع مرات متفرقة ؛ لتأكيد مضامين الأخبار بعدها ، ولتشويق ذكر الأخبار المتعلقة بالأحداث الواقعة في الحياة .

نحن نحيا كالطير في الأفق الساجي...

نحن نلهو تحت الظلال كطفلين....

نحن نغدو بين المروج ونمسي ...

نحن مثل الربيع نمشي على أرض من الزهر....

نحن نحيا في جنة من جنان.....

نحن في عشنا المورود نتلو سور الحب....

نحن نحيا فلا نريد مزيدا ...

والتعبير بالجمع من قبيل التعبير بالمخالفة وفيه انزياح وعدول عن التثنية ، فبدلا من أن يقول أنا وصاحبي أو أنا والمحبوبة ، فعبر بـ (نحن) ، للدلالة على قوة الأحداث في نفس الشاعر مما يكسب رونقا وتألفا بهذا التعبير

---

(١) ديوان الشابي، ٢١٦، وغرور الطفولة، جاء في العجم الوسيط: (الغرارة : الغفلة وحداثة السن) . المعجم الوسيط ــ ٢/ ٦٤٨.

الجمعي، ويشعر أيضا انصهار القائلين واتحادهما في لسان واحدٍ ، وليؤكد بتصدر الجملة الاسمية الثبوت والدوام لمضمون الجملة.

وفي تشبيه المحبَين معا تحت ظلال الأشجار ، بطفلين في سعادتهما ولهوهما وتغنيهما، في غفلة لاهية وحداثة سنهما وسذاجتهما، انزياح وعدول عن الحالة النفسية الرائقة التي تنتاب المحبين من طهر في اللقاء ، وبراءة في اللعب، ووداعة وانسجام في المصاحبة، وإلباس الحب لباس الطفولة لتزينه بالطهر والنقاء والعفوية والبراءة .

والشابي من الشعراء الذين ابتعدوا عن التقليد عمن سبقهم ، وعمدوا إلى ذواتهم يبرزون نزعاتهم بصدق وإخلاص ، مستخدمين الصور والأخيلة والألفاظ السهلة العصرية .[١]

١٠- صور الشعب بالطفل الصغير:

وفي قصيدة : [النبي المجهول] يخاطب الشابي الشعب ، ويعي تماما أنه لا يستقل بقراراته ، ولا يحسن النظر في مصيره ، ولا يحسن الاعتماد على نفسه ، بل يعتمد على غيره، ولم يجد شبها يمثله به هكذا غير طفلٍ صغيرٍ يلهو في التراب ، يقول الشابي[٢] :

أيّها الشّعبُ ! أنتَ طفلٌ صغيرٌ ** لاعبٌ بالتُّرابِ والليلُ مُغْسِ
أنتَ في الكَوْنِ قوَّةٌ ، لم تَسُسْها ** فكرةٌ ، عبقريَّةٌ ، ذاتُ بأسِ
أنتَ في الكَوْنِ قوةٌ ، كبَّلتْها ** ظُلُمَاتُ العُصور ، مِنْ أمس أمسِ

(١) ينظر: القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، د/ واصف أبو الشباب، ص١٣٢،ط/دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت. نقلا من: تطور الشعر العربي من عصر النهضة حتى الثلاثينات من القرن العشرين، زاهر خسروي، ص٥٧.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٥٠.

وفي نداء الشعب انزياح وعدول ؛ للتنبيه على ما بلغه الشعب من اللهو والإهمال الجسيم ؛ ولتوصيف الحالة التي بلغها الشعب من الانقياد والانصياع لقرارات غير سديدة ، وتصرفات غير حكيمة ، وعدم القدرة على إحكام الأمور والسيطرة على مستقبله المعيشي الآمن.

ووصف الطفل بكونه لاعبًا في التراب دلالة على التهور وعدم النضج ، وللتعبير بالليل المظلم ، دلالة أكيدة على تخبط الحركة ، وإساءة اختيار الزمن.

وتشبيه الشعب بطفل انزياح وعدول من التفاصيل الكثيرة المحدقة حول هذه الظروف المحيطة بالشعب توحي بالضعف ، مما جعلته هكذا ملحقًا بطفل لا حول له ولا قوة من حيث الإرادة والتوجيه وتقرير المصير، لكنه أتبع هذا البيت بيتا آخر يوحي بالقوة ، عندها عرفنا أنه لم يكن يريد بتصوير الطفولة غير بداية النضج والاستعداد والتلقي والصمود، (حاول الشابي أن يظهر شعبه على مواطن القوة فيه ، وأنه قادر على السيطرة ، على الحياة ، وأن يتبوأ أحسن مكان فيها ، لو حرر إرادته ، وأسلم زمامه لقيادة سليمة ، تأخذ بيده ، وتقوده إلى مسالك القوة ، وتحرر أفكاره ، من أسارير التقاليد التي عفا عنها الزمن) [١].

والذي يلوح من أول وهلة أن في وصف الشابي للشعب بالطفولة ثم وصفه بالقوة تناقضًا، لكنه ليس كذلك ، بل يريد النصح والتوجيه والتنبيه على الخطر المحدق إن لم يلتف حول من يحسن توجيهه ويقوده ويسوده ويسدده.

كما أن التتميم بحسن البيان بوصف الطفل بأنه صغير؛ لإلحاق المهانة بالشعب ، ولتأكيد فرط إهماله وعدم اعتماده على نفسه في قراراته وتقرير

(١) أبو القاسم الشابي حياته وشعره ، ص ٨٥.

مصيره . وجملة (لاعبٌ بالتُّرابِ) بيان شافٍ لهذا الإهمال وعدم اللامبالاه الظاهر. ولجملة (والليلُ مُغْسِ) دلالة موحية بانغماس الشعب في الظلام والتيه والتخبط ، وعدم إحكام السيطرة. وتحدث تكرار جملة (أنتَ في الكَوْنِ قوَّةٌ) إيقاعا قويا وتناغما صوتيا ؛ ليثبت في الأذهان مدلول الجمال بتكرار القوة التي عليها الشعب ؛ ليزيد من اعتداده بنفسه، وحتى يقاوم الظلم الذي جرى له من قبل ويواجهه. فمازال الشعب تحت عناية ورعاية ممن حوله ،حتى وإن أهمله الزمان وإن جارت عليه الأحداث، فسينهض إلى عهد الشباب وسيأوي عندها إلى ركن سواعد الرشاد الشديد، وبهذا استطاع الشابي أن يجعل النص مفتوحا أمام القارئ ، وأمام العديد من الاحتمالات بدلا من جعله مقيدًا أمام دلالة واحدة. (١)

١١- تصوير الطفل باللحن الجميل :

يستهل الشابي في قصيدته الرائعة (قلب الأم) بنداء الطفل الذي فارق الحياة يقول (٢) :

يا أيها الطفل الذي قد كان كاللحن الجميل

ونداء الطفل نداءً مجازيا ، وهو انزياح من الواقع المر الأليم لعدم تحقق الاستجابة ؛ لكونه فارق الحياة كما سيأتي، وهو حدث من الأحداث المتكررة قام بتصويره لترجمة مرارة الفقد التي أصابت من يهتم له ويعتني به وسط هذه الأحداث الصعبة؛ ولكنه استحضره في استهلاله ليقيم الحجة على واقع الحياة المر الأليم ، فهو صورة مكررة لمن يأتي يتذوق ما ذاق من واقع الحياة

---

(١) ينظر: جماليات المعنى الشعري في قصيدة رحلة إلى مصر لأبي نواس ، د/ على قاسم محمد الخرابشة ، ص١٦٧ ، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٥، العدد الأول + الثاني٢٠٠٩.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٣ .

المر الأليم. ومجيء الكلمة معرفة (بأل) للعهد الذهني ومناداته على الرغم من وفاته لاستحضاره في الذهن ولكمال العناية به لما يسند إليه من أخبار قادمة. وشبهه فيما كان قبل وفاته باللحن الجميل الرائق الذي يخلب كل المسامع وقتئذٍ، فلم يعد اليوم بعدُ ذا لحنٍ أو ووقعٍ يسمع بعد الآن. وفي هذا التشبيه انزياح وعدول عن معاني الحركة المندثرة بوفاته للتحسر على ما كان من حظ وفير بالسعادة والانتشاء لجميع من حوله. حيث يذكر ماضيا جرى عليه ما جرى من قوانين الحياة في هذا الوجود والأمر المبرم والقضاء النافذ ، أحداثه هذا الطفل : كيف عاش في هذه الحياة التي فارقها ؟ ماذا فُعل به لما مات ، وبعدما مات ؟ من الذي حزن عليه ؟ من الذي اهتم به؟ من الذي نسيه؟ من الذي تقطع فؤاده لفقده؟ أعاد الشابي نداء الطفل مرة أخرى ؛ لتمييزه أكمل تمييز ، وتشويق ما أسند إليه من أخبار حيث يقول [١] :

يا أيها الطفل الذي قد كان في هذا الوجود
فرِحا ينادي فتنة الدنيا بمعسول النشيد
ها أنت ذا قد أطبقت جفنيك أحلام المنون
وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الأمين

وراء تلك الكنايات الثلاث المتتابعة: (الحياة: قد كان في هذا الوجود)، (الموت: أطبقت جفنيك أحلام المنون)،(الحياة البرزخية:وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الأمين)،تسجيل الحزن والألم والحسرة على أصاب الطفل في هذا العمر ، ومدى الشعور بالألم لفقده (وللشابي خيال مُولّد موغل في الغرابة يصطنع من الأمور العادية مشاهد وقصصا ، ونحن عادة لا نقدر

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٣ .

الأخيلة بما فيها من المادة ، بل بما لها من الصور ، وبالقِران الذي بين تلك الصور)[١].

ثم يقرر أنهم نسوا هذا الطفل الذي فارق الحياة، ويستطرد أسباب ذلك الواقعية ، يقول [٢]:

ونسوك من دنياهم حتى كأن لم يعرفوك
شغلتهم عنك الحياة ، وحرب هذه الكائنات
إن الحياة – وقد قضيتَ قبيل معرفة الحياة
بحرٌ قرارته الردى ، ونشيد لجته شكاة

ثم يعود مخاطبا إياه بأنهم نسوه مرات ومرات عديدة وألهتهم عنه الحياة وشواغلها، وهذا للتأكيد على أن المرء لا يأبه له أحد في تلك الحياة المليئة بالملهيات ، ويستثني من ذلك ما سيصرح به قبل انتهاء القصيدة [٣]:

نسيتك أمواج البحيرة والنجوم اللامعة
والبلبل الشادي ، وهاتيك المروج الشائعة
وجداول الوادي النضير برقصها وخريرها
ومسالك الجبل الصغير بعشبها وزهرها
حتى الرفاق،.....
فنسوك مثل الناس ..، وانصرفوا إلى اللهو الجميل
بين الخمائل والجداول والروابي والسهول
ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم

---

(١) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ١٩٧ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٣ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٣ ، وما بعدها.

ونسوا تغنيك الجميل بصوتك الحلو الرخيم

ومضوا إلى المرج البهيج يطاردون طيوره

وفي تكرار الجمل الصادمة المعبرة التي تؤكد واقعا مريرا : (فنسوك مثل الناس ..، وانصرفوا إلى اللهو الجميل)، وقوله:(ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم)، وقوله: (ونسوا تغنيك الجميل...)؛ لتأكيد الواقع المرير الذي يجري على واقع الطفل ممن حوله ، وخذلانه.

ولعل أذكى صورة وأرفع لمحة تنبئك عن منتهى وصف الطفل في عيون الناظرين باتفاق ، إن لم يكن أقل مما يمليه الشعور بمعان هي أكثرها ترددا في الأذهان: (وداعة وجهك الهادي ،ومنظرك الوسيم) .

ويستمر الشابي في تعداد ما ألهوا به عنه وأخذ يعدد الذكريات ويستطردها بتدفق حزين [١]:

كلٌ نسوك ، ولم يعودوا يذكرونك في الحياة

والدهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات

ويستثني من ذلك كله فؤادا واحدا فقط، متأثرا بفقده يتقطع عند رؤية أقرانه ، وذويه [٢]:

إلا فؤادا ، ظل يخفق في الوجود إلى لقاك

ويود لو بذل الحياة إلى المنية ، وافتداك

فإذا رأى طفلا بكاك ، وإن رأى شبحا دعاك

يُصغى لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلا بهاك

يصغي لنغمتك الجميلة في خرير الساقية

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٤ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٤ .

وزاوج الشابي بين أداتي شرط (إذا) و (إنْ)، والفرق بينهما أن(إنْ) تستعمل في أمْرٌ مشكوكٌ في وقوعه مستقْبلاً، أو هو نادر الوقوع، وأما (إذا) تستعمل: أمْرٌ مُتَحقِّق الوقوع، أو هو مَرْجُوّ الوقوع.(١). والأمر واضح بين الأسلوبين ،وذلك ؛ لأن رؤية الطفل محققة ، بخلاف رؤية الأشباح فهي نادرة الحدوث.

وفي قوله: (فإذا رأى طفلا بكاك ، وإن رأى شبحا دعاك) نكته لطيفة، وهي تنكير: (طفل) لتردد حاله وصورته في كل موقف يمر على قلب الأم إذا رأت طفلا حتى وإن لم يكن يشبهه.وهذا تذكير مؤلم يتكرر بتكرر رؤى الأطفال ، فما آلم هذا المشهد وما أوجعه. ثم يصرح بأن هذا القلب الوحيد الذي يتألم،هو قلب الأم الذي جمعت فيه أحزان الوجود، يقول (٢):

أعرفت هذا القلب في ظلماء هاتيك اللحود؟

هو قلب أمك ، أمك السكرى بأحزان الوجود

وكرر كلمة (أمك) مرتين مخاطبا إياه لاستحضاره هذا المشهد المؤلم الذي يدفع الافتداء عن أي قلب ضحك لهذا الطفل ذات يوم، سوى هذا القلب الذي تكبّد حمله وأخرجه للحياة وتعهد تربيته.

ثم يقول عن ذلك القلب الصامد الذي اتسم بعدم النسيان أو التخلي ، ورؤية طفولته الحالمة في ذكريات الوجود ، بصورة متجددة بحيث لا يسأم منها على الإطلاق، ولا يكون لقلب سوى قلب الأم (٣):

هو ذلك القلب الذي مهما تقلبت الحياة

---

(١) ينظر: البلاغة العربية ، ص٤٧٢ .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٦ .

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٦ .

والشابي في كل ذلك يعد كلماته بعناية فائقة ، وكان المتحدث هو قلب أم هذا الطفل المفقود، ويستخدم لذلك الكلمات والجمل والتراكيب المعبرة ، وكذلك الصور والأخيلة البديعة، بما يناسب الواقع والشخصيات والأحداث والتجارب، كذلك الشعور النفسي الصادر من نافذة أفكاره ،فالشعر (ينظم نمطًا فريدا من الكلمات غير قابل للإعادة ، وتكون كل كلمة موضوعًا بقدر ما هي إشارة، وتستعمل بصورة لا يمكن لآية منظومة خارج القصيدة أن تتنبأ بها)[١]. ثم يقول الشابي بعد ذلك [٢]:

سيظل يعبد ذكرياتك لا يمل ولا يميل

قول الشابي: (سيظل يعبد ذكرياتك)، لعله يقصد من عبادة الذكريات العناية والاهتمام ، وليس بمفهومها الوضعي ، وإن كان لنا وقفة أدبية من منظور التصوير الإسلامي وفق العقيدة ، فأسلوب الشابي يجاري شعراء العصر الحديث في التعبير بألفاظ العقيدة من قبيل الصورة المجازية ، وهي غير مقبولة ؛ للدلالة على عبودية الذكريات ، وإن كان المراد بها التقديس، وهو كثير في شعره. وهذا مجال لا يزال مطروحا للنظر في أسلوب الشابي وموقف الأدب الإسلامي منه.

وأما قوله : (لا يمل ولا يميل) فإنها تحدث إيقاعا صوتيا ، وتجانسا لفظيا بين الكلمتين ، مع اختلاف معناهما؛ ليعلقا في ذهن السامع ؛ وليتأكد المعنى فضل تمكن ، من عدم التخلي عن ذكريات الأمومة ، ودفع الشعور بالملل،وحتى قصد الانحراف عن هذا الاهتمام للأبد، يقول عبد القاهر في قيمة

---

(١) نظرية الأدب ، أوستن وارين ورينيه ويليك،ص٢٤٠ ط/ مطبعة خالد الطرابيشي – دمشق ١٩٧٢. ترجمة : محي الدين صبحي. نقلا من جماليات المعنى الشعري، د/ علي قاسم محمد الخرابشة،ص١٦٩، .

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي،ص ١٨٦ .

الجناس:(فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيداً) [١]. والشابي حريصٌ في كل قطعة من القطع الفنية البديعة على تحريك الباعث لدى المتلقي، وتهييج النفس والسمع لاستيعاب قلائده الفنية .

وهذا دأب الشابي في إضافة المعاني وإكسابها أذواقًا خاصةً من التعبيرات البديعة المؤثرة ، جعلت منه شاعرًا مجيدًا فذّا،(ولا ريب في أن عبقرية الشابي كانت تطغى على كل ما حوله في ذلك ، وتكسف أنوار كثيرين من أنداده) [٢].

((١ أسرار البلاغة للجرجاني ،ص٧ .

(٢) الشابي ، شاعر الحب والحياة ، ص٨٣.

خاتمة البحث

تمثل الطفولة بالنسبة لفضاء الشابي النفسي بداخله ، وخياله الواسع أمرين متكررين ينبثق منهما معانٍ متدفقة كثيرة تدور في معجمه الشعري للطفولة حول: البراءة والوداعة والطهر والنقاء ، ومنتهى الجمال واللذة والسحر الآسر، وعين الأمومة ، والضعف والسذاجة ، والازدهار والخضوع، والحياة العابثة ، والتفاؤل .

– **والأمر الأول** – فيما يبدو–:المعادل الموضوعي لمفتاح الحركة في الحياة المتدفق بالحيوية والنشاط .

– **والأمر الآخر:** هو تلك الأداة اللينة الرقيقة المسيطرة في تشكيل الطبيعة الطاهرة المصاحبة لفصل الربيع بيئة ومناخًا ووجودًا طاغيًا، و التي لا تنتمي للإنسان –في واقعه المعاش– المتغيّر بدوافعه وشروره وسيطرته وتغيراته وإفساده في معالم الأرض .

– والشابي لم ينظر للطفولة من باب الحقيقة في كل الأحوال والصور والأحداث فجاءت معان متقلبة، و أخرى ثابتة ممزوجة بالخيال تارة وبالحقيقة أخرى ، منتزعة من البيئة.

– والطفولة في ديوان الشابي لم تكن لوحة فنية ذات معان لها تأثير سلبي أو تشاؤمي في شعره بل جاءت وقعا عفويًا كما الطبيعة الساحرة الأخاذة بعفويتها وطهرها ونقائها وبراءتها ، التي لم ينلها تغيير البشر تماما بتمام .

– لقد فرضت الطفولة نفسها في نفس الشابي قبل شعره نظرا لمعاناته في طفولته ، ورقة مشاعره ، ونبل أفكاره، وعمق تناوله، وحسن تصويره ، كفل ذلك كله وجود الجمال من حوله .

– والشابي وَلِعٌ بالطفولة ؛لأنها أسمى مرحلة وأنقاها ، ووجد فيها نفسه مع الطبيعة الساحرة والجمال الذي لم يعبث فيه من قبل ، والطهر والنقاء الذي شافه المحبوبة وخالط عذوبتها وجمالها الساحر، والشابي كَلِفٌ أيضًا بما يهيج دوافع النفس من الجمال البريء المصور للطهر والنقاء والعفوية والصدق.

–عين الشابي ترتكز على ما يعتري الطفولة من معانٍ وتلتقط ما بها من أمكنة وأزمنة ،وتصور ما بها من بيئة ،وتحضر ما فيها من أشخاص وتسجل ما بها من أحداث من خلال تشكيل الواقع تارة ، ومن التشكيل الخيالي تارة أخرى ، وهو أغزر جانبًا من التشكيل الأول؛لأن نفس الشابي يعتصرها أخبار المجتمع وما يعتري أفرادها من أحوال صارمة أحرى بمعالجتها والبحث فيها وفي خطاباتها وعهودها وأفكارها وتقريبها لمتلقيها بما يقارب الفهم ويحيط باستيعاب العقل بما يتواءم مع أنساق النص الشعري سياقًا ومساقًا ، والذي حواه المعجم الشعري للطفولة من الأمومة والكون والشعر والشعب والغاب وسحر الطبيعة والتغني بهذا أو ذاك وفق الجانب النفسي للواقع الخارجي.

– تعد الطفولة أداة من الأدوات الصادقة ، وعهد من العهود النبيلة ، وصورة من الصورة الجميلة المؤثرة الموحية والمعبرة ، بطبيعة أحوالها المتقلبة وعفويتها الثابتة وبراءتها الساذجة كمؤسس للبشرية المثالية التي تأثر النفس والسمع والقلب معا.

وختامًا الشابي شاعر الطفولة–صاحب الطاقات الفنية الرائدة– أبدع في تناوله لهذا الجانب النفسي تناول الكَلِفِ بمهمة فنية رائدة تسجل للبشرية أنقى عهودها وأطهر حقبها، ورسم للطفولة معانٍ بديعة لم يسبق إليها – في نظري – ولم يتأثر بغيره ، كالصورة الفريدة التي عليها تلك الدراسة والتي حرّكت

بواعث البحث ، وهي مخاطبة الفتاة بما هو كالنادر في عيون الدواوين الشعرية قديما وحديثا- فيما أحسب-: (عذبة أنت كالطفولة)،وهو على صغر سنه لو عمّر أكثر مما عمّر كيف يكون نتاجه الشعري ؟

-هناك من المعاني العميقة والأساليب البديعة والمعجمات الشعرية البكر التي لم تفضض بعد في ديوانه تحتاج إلى فريق بحث للدراسة المتأنية لكشف أغوار الشاعر الفنية والنفسية والإبداعية ، قيّض الله لها من يقوم بدراستها ومعالجتها.

مصادر البحث ومراجعه

١. أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه، فخري أحمد حسن طملية،ماجستير، ١٩٧٣،جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة .

٢. أبو القاسم الشابي في شعره ، جرجس ناصف، ط/دار الفكر اللبناني- بيروت،ط١، ١٩٩٣م .

٣. آثار الشابي وصداه في الغرب ، أبو القاسم محمد كرو.

٤. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ،دار الكتاب العربي- بيروت،ط١ ،١٤٠٤،تح: د/سيد الجميلي.

٥. الأدب العام والمقارن، دانييل- هنري باجو ،ط/ اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٧، ترجمة:د. غسان السيد.

٦. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ط/ دار المدني بجدة، تح: محمود محمد شاكر.

٧. أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة دراسة تطبيقية، د/ عبد الحميد هنداوي.

٨. الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ط/ دار المسيرة-الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٩. أصول علم النفس ،د/ أحمد عزت راجح، ط/دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٧ ،١٩٦٨ م.

١٠. الأعلام للزركلي ، ط/دار العلم للملايين،ط/٥ ، ١٩٨٠م.

١١. إنتاج الدلالة، صلاح فضل، ص٢٦١ ، ط/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٨٧م .

١٢. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

١٣. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد،ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨م.
١٤. البديع والتوازي، عبد الواحد حسن،ط/ مطبعة الإشعاع الفنية، ط١، ١٩٩٩م.
١٥. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،د/عبد الرحمن الميداني، دار القلم – دمشق ،ط/١ ،١٩٩٦م..
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس ،الزبيدي، دار النشر : دار الهداية ،تح: نخبة من المحققين.
١٧. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم– بيروت،ط٥ – ١٩٨٤م.
١٨. تراسل الحواس وأثره في بناء الصورة الشعرية،د/ علي قاسم الخرابشة، مجلة العلوم الإنسانية ،العدد ٣٣، صيف ٢٠١٩م.
١٩. التشكيل الموسيقي في شعر أبي القاسم الشابي، د/ كوثر هاتف كريم، وآخرون، بحث فيمجلة كلية التربية للبنات للعلومالإنسانية،العدد١٣،السنة السابعة، ٢٠١٣م.
٢٠. جماليات المعنى الشعري في قصيدة رحلة إلى مصر لأبي نواس ، د/ على قاسم محمد الخرابشة ، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٥، العدد الأول + الثاني٢٠٠٩.
٢١. جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت ط١، ١٩٨٧م.
٢٢. الجنى الداني في حروف المعاني،الحسن بن قاسم المرادي،ط/ دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٩٢م.
٢٣. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلّقي الجمالي للمكان،د/قادة عقاق، كتاب الكتروني ،موقع: http://www.awu-dam.org.
٢٤. دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني، ط/ مكتبة الخانجي، ،تح: محمود شاكر.

٢٥. ديوان أبي القاسم الشابي(أغاني الحياة) د/عبد اللطيف شرارة، ط/دار صادر– بيروت،ط/٢، ٢٠٠٨.
٢٦. ديوان النابغة الذبياني، ط/ دار المعارف ،ط٢،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم .
٢٧. ديوان طرفة بن العبد،ط/ دار الكتب العلمية،ط٣، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢ م. تح: مهدي محمد ناصر الدين.
٢٨. الشابي شاعر الحب والحياة ،د/ عمرو فروخ،ط/ دار العلم للملايين – بيروت،لبنان،ط٤، ١٩٨٧م .
٢٩. الصورة الفنية في شعر عثمان الوصيف، الزهر فارس، ماجستير– جامعة قسطنطينة ،٢٠٠٥م .
٣٠. الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، ط/ دار العلم للملايين– بيروت،ط٢، ١٩٧١م .
٣١. العَذْبُ النَّمِيرُ، للشنقيطي،ط/ عالم الفوائد،ط٢، ١٤٢٦ هـ. تح:خالد بن عثمان السبت.
٣٢. علم نفس الشخصية ،د/ كامل محمد محمد عويضة،دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٦م.
٣٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،لابن رشيق،ط/ دار الجيل،بيروت– لبنان، ط/٥، ١٤٠٥ه–١٩٨١م، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد.
٣٤. العين، للخليل بن أحمد،ط/دار ومكتبة الهلال، تح: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي.
٣٥. الغربة المكانية في الشعر العربي عبده بدوي، مجلة عالم الفكر– الكويت،المجلد١٥،العدد١، ١٩٤٨م .
٣٦. فن الجناس ، د/ علي الجندي، ط/ دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
٣٧. القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٨. القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، د/ واصف أبو الشباب،ط/دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت.
٣٩. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، ط/ دار العلم للملايين، ط١ .
٤٠. لسان العرب،لابن منظور، ط/ دار صادر– بيروت، ط٣،– ١٤١٤ هـ.
٤١. اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، ط/ دار المعرفة ،ط٢، ٢٠٠٧م.
٤٢. مبادئ في نظرية الشعر والجمال ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ط/كتاب الكتروني .
٤٣. المحيط في اللغة،للصاحب ابن عباد،ط/عالم الكتب– بيروت، لبنان،ط/١، ١٩٩٤م، تح: محمد حسن.
٤٤. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ،ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ. تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي.
٤٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق : نخبة من الأساتذة ، دار الدعوة، بدون تاريخ.
٤٦. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تح:عبد السلام محمد هارون.
٤٧. مقال : شعلة النور والمعرفة موقع البيان .
٤٨. نظرية الأدب ، أوستن وارين ورينيه ويليك، ط/ مطبعة خالد الطرابيشي – دمشق ١٩٧٢. ترجمة : محي الدين صبحي. نقلا من جماليات المعنى الشعري، د/ علي قاسم محمد الخرابشة .
٤٩. نظرية الاستلزام الحواري واستيراد المعرفة ، د/ عبد المحسن محمود، بحث مستل من كتاب المؤتمر الدولي "قراءة التراث العربي والإسلامي بين الماضي والحاضر، – الدراسات اللغوية ١،مركز تحقيق المخطوطات –جامعة قناة السويس٢٠١٧م.
٥٠. نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل، ط/ دار الأفاق العربية– القاهرة، ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٣
٢-	Abstract	٥
٣-	مقدمة	٧
٤-	مدخل	١١
٥-	المبحث الأول :صور الطفولة في شعر الشابي	١٤
٦-	المبحث الثاني :تصوير الأشياء بالطفولة	٣٨
٧-	خاتمة البحث	٨٣
٨-	مصادر البحث ومراجعه	٨٦
٩-	فهرس الموضوعات	٩٠